

جبهة مدنية موحدة؟

في خضم حرب تطحن السودان، يبرز سؤال ملح: هل أضحي حلم الجبهة المدنية الموحدة ضرباً من الخيال؟ الواقع يقول إن المهمة شبه مستحيلة، لكنها ليست كذلك تماماً بالنسبة لصمود؛ كما يشرح القيادي بالكتلة، نائب رئيس حزب المؤتمر السوداني، خالد عمر يوسف، في مقابلة مع «أفق جديد» تنشر بالداخل، وهو عين ما ذهب إليه الأمين العام للتحالف والقيادي بحزب الأمة القومي صديق الصادق المهدي في إفاداته التي بذلها ضمن منتدى مخصص نظمته «أفق جديد»، وننشر الحلقة الثانية منه في هذا العدد كذلك. يقول صديق إن المشروع المدني ليس ضعيفاً لكونه منقسماً، بل لأن العسكر يملكون البنادق والإعلام. لكن توحيد الرؤى حول وقف النزيف أولاً، واستغلال التناقضات الدولية، قد يقلب الموازين

حرب بلا نهاية.. المسيرات تطيل أمد المعاناة في السودان

الجيش دعماً من إيران وروسيا. هذا التورط الخارجي لا يقتصر على تأجيج القتال، بل يهدد بتوسيع نطاقه إقليمياً، خاصة مع تبادل الاتهامات حول استخدام قواعد في دول الجوار لشن هجمات، مما يزيد من تعقيد المشهد ويفاقم التوترات. لكن الوجه الأكثر مأساوية لهذه الحرب التكنولوجية يكمن في تكلفتها الإنسانية الباهظة. فاستهداف المسيرات للمنشآت الحيوية كسد مروي ومحطات الكهرباء، بالإضافة إلى المستشفيات والمناطق السكنية، أدى إلى انقطاع الخدمات الأساسية عن الملايين، وسقوط مئات الضحايا المدنيين، وتفاقم أزمة نزوح كارثية طالت أكثر من 13 مليون شخص. كما أدى القصف المستمر إلى انهيار شبه كامل للبنية التحتية الصحية والتعليمية، مما ينذر بعواقب وخيمة طويلة الأمد.

في المحصلة، أدت حرب المسيرات في السودان إلى خلق حالة من الجمود العسكري يصعب معها تحقيق نصر حاسم لأي طرف، مما يهدد بإطالة أمد الصراع لسنوات. وفي الوقت نفسه، تتفاقم الكارثة الإنسانية وتزداد صعوبة تنظيم انتشار هذه التقنيات الفتاكة دولياً. لقد تحول السودان، للأسف، إلى مختبر مفتوح لأحدث وأخطر أدوات الحرب الحديثة، بينما يدفع المدنيون الثمن الأكبر.

يشهد الصراع الدائر في السودان منذ أكثر من عامين تحولاً جذرياً، حيث انتقل من مواجهات تقليدية إلى حرب تكنولوجية معقدة تلعب فيها الطائرات المسيرة دوراً حاسماً. هذا التطور لم يغير فقط من طبيعة المعارك بين القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع، بل أعاد تشكيل المعادلات العسكرية والسياسية، ملقياً بظلال قاتمة على مستقبل البلاد.

وقد شهدت الأشهر الأخيرة تصعيداً ملحوظاً في استخدام هذه التقنية، حيث لم تعد المسيرات مجرد أدوات استطلاع، بل تحولت إلى أسلحة هجومية فتاكة. فبعد تكبدها خسائر ميدانية، لجأت قوات الدعم السريع إلى استراتيجية حرب الاستنزاف، مستهدفة البنية التحتية الحيوية بضربات عبر مسيرات يُعتقد أنها تشمل طرازات صينية. في المقابل، عزز الجيش السوداني ترسانته بمسيرات متطورة، أبرزها «مهاجر-6» الإيرانية، مع تقارير عن تلقيه تدريبات على استخدام المسيرات الانتحارية، مما حول سماء السودان إلى ساحة قتال تكنولوجي.

هذه الديناميكية العسكرية لم تكن لتتصاعد لولا التدخلات الإقليمية التي حولت الصراع إلى حرب بالوكالة. فبينما تشير التقارير إلى استمرار الدعم الإماراتي لقوات الدعم السريع، يتلقى

كيف تدار الدولة...؟!

وائل محجوب

26-27

حرب إطلاق الحمير

حيدر المكاشفي

35-36

الفرانكنشتاينية - وصناعة الهزة الدائمة بالحرب

وجدي كامل

49-51

أصاب البرهان حيث أخطأ... أو جمهورية البندقية

حيدر المكاشفي

43-45

اقتصاد السودان: الانهيار الشامل والمأساة الإنسانية في ظل الحرب المنسية

عمر سيد أحمد

52-58

في حضرة صاحب الروزنامة

طاهر المعتمم

62-64

رسائل للأحباب (4): إلى نمارق محيي الدين

عثمان يوسف خليل

68-69

نصوص

هنا أو هناك.. لا أهمل النافذة

بابكر الوسيلة

70-72



جبهة مدنية موحدة؟

في خضم حرب تطعن السودان بيزن سؤال ملغ: هل أضحي حلم الجبهة المدنية الموحدة ضريماً من الخيال؟ الواقع يقول إن المهمة شعبة مستحيلة لكنها ليست كذلك تماماً بالنسبة لصمود كما يتضح القيادي بالكتابة، نائب رئيس حزب المؤتمر السوداني، خالد عمر يوسف في مقابلة مع «أفق جديد» تنشر بالداخل وهو عن ما ذهب إليه الأمين العام للحزب والقيادي بحزب الأمة القومي صديق الصادق المهدي في إدارته التي بذلها ضمن منتدى مخصص نظمته «أفق جديد»، وتنشر الحلقة الثانية منه في هذا العدد كذلك. يقول صديق إن المشروع المدني ليس ضعيفاً لكونه منقسماً، بل لأن العسكر يشكلون البنادق والإعلام لكن توحيد الرؤى حول وقف التزييف أولاً، واستغلال التناقضات الدولية، قد يقبض الوائزين

الممرضون السودانيون.. أبطال في خط نار الحرب والوباء

4-6

تدمير قطاع الكهرباء في السودان.. خسائر فادحة وتداعيات إنسانية

7-10

ما وراء الأرقام.. شهادات حية تكشف خلل نتائج شهادة 2023 المؤجلة

11-15

بورتسودان تحت قصف المسيرات

16-18

عامان من النار والأصفار.. سيناريو توحش الحرب الأقرب

19-23

مقتل الككلي.. نهاية زعيم المليشيات تهدد بإشغال حرب طرابلس من جديد

24-25

قلادة

مرصد

دفتر أحوال

مع الأحداث

عن كتيب

مع الأحداث



أسبوعية سياسية شاملة

رئيس التحرير
عثمان فضل الله



تصدر عن

MAARIF CENTER FOR STRATEGIC
STUDIES LTD
REGISTERED OFFICE OF THE
COMPANY IS SITUATED AT:
UGANDA, CENTRAL, KAMPALA,
CENTRAL DIVISION, BUKESA,
NSALO
POSTAL ADDRESS 177732
KAMPALA GPO

منتدى

صديق الصادق :
الصراع الدائر الآن بين مشروع
شمولي ومشروع مدني
ديمقراطي



39-45

الممرضون السودانيون... أبطال في خط نار الحرب والوباء

ملخص

لمسة وفاء بمناسبة اليوم العالمي للممرض الذي يصادف تاريخ 12 مايو، ونتمس فيه معاناة الممرضين السودانيين وسط الحرب، حيث تحولت المستشفيات إلى ساحات قتال، واضطر كادر التمريض للعمل دون أدوية أو كهرباء، بينما تعرض بعضهم للاعتقال أو الاختفاء القسري بتهمة «التعاون مع أطراف النزاع».

يبرز التقرير قصص صمود، كممرضة كوستي التي واجهت وباء الكوليرا، وآخرين قدموا الإسعافات وسط المعارك، بينما اضطرت ممرضات للنزوح والعمل في دول الجوار لإنقاذ أسرهن اقتصادياً.

استهداف المنشآت الصحية أصبح «ممنهجاً»، مع نهب الأجهزة الطبية وفرار 60% من الكوادر، وفق تقديرات غير رسمية، بينما يواصل الباقون العمل في مستشفيات مثل «النو» بأم درمان، التي يديرها متطوعون.

يخلص التقرير إلى أن الحرب حولت يوم الممرض العالمي إلى ذكرى مريرة، حيث لم يعد هناك ما يُحتفى به سوى «باقعة ورد» رمزية، في بلد انهار نظامه الصحي، وترك أبطاله دون رواتب أو حماية.

أبرز الأرقام والوقائع

12 مايو: اليوم العالمي للتمريض الذي مر دون احتفال في السودان.
مستشفى جبل أولياء: تعرض للنهب والسيطرة من قبل قوات الدعم السريع.
مستشفى النو: أحد آخر المراكز التي يديرها متطوعون في أم درمان.
60%: نسبة الكوادر الطبية التي هربت من السودان حسب تقديرات غير رسمية.

استفهامات عالقة

كيف تحولت المستشفيات إلى خطوط أمامية في الحرب السودانية؟
لماذا أصبح التمريض مهنة «جريمة» في السودان اليوم؟
ما مصير المرضى المختلفين مثل «عبد الحميد خميس توفيق»؟
كيف واجه المرضى أوبئة الكوليرا والحُميات دون موارد؟

اقتباسات

«وجدت اللابكوت الخاص بي ملطخاً بدماء سوداني كان له أسرة وحلم... وضعت الحرب نهايته»
«الحرب دخلت مستشفياتنا.. لم نذهب إليها»
«حتى الشاش الطبي صار سلعة نادرة»



أفق جديد

ظل يشغل بالها؛ المستشفى الخاص بالمنطقة حيث قضت كل عمرها وهي تعمل هناك في مهنة التمريض.. هو آخر مكان غادرت منه مسقط رأسها بعد أن ألقت عليه النظرة الأخيرة. تأكدت من إغلاق الأبواب والنوافذ وإيقاف الأجهزة الطبية، ومن خلو الأسرة من المرضى في رحلتها نحو الأمان بولاية النيل الأبيض. كانت

على متن قارب قديم تعبر «ماجدة» النيل الأبيض نحو الضفة الغربية لم يعد «الجبل» عاصماً لها فقد وصلت قوات الدعم السريع وأعلنت سيطرتها على منطقة جبل أولياء جنوب الخرطوم. مثلها كثيرين تركت ماجدة كل شيء خلف ظهرها لكن شيئاً واحداً

تعرضها الأسئلة من الناس هناك: من سيحققهم؟ ومن سيعيد تركيب دربات المحاليل؟ تمنيت أن يكون كل ما يجري مجرد كابوس ينتهي مع شروق شمس اليوم التالي.

الثاني عشر من مايو يصادف اليوم العالمي للتمريض في السودان، وهي لحظة يمكن فيها اجترار المعاناة التي قابلت المرضى والممرضات في بلد تعيش واقع الحرب، ومنذ عامين، ومع المعاناة.. هي لحظة استذكار مواقفهم وصمودهم في وجه النيران دون أن يلقوا عنهم السلاح كانت وقفهم في خط النار رائعة وطويلة.

«كان علينا أن نخوض حربنا داخل الحرب». هكذا تقول ماجدة لأفق جديد وهي تستدعي تفاصيل ما جرى لها ولزملائها بعد طلقة الحرب الأولى وما استدعته من معارك كان عليهم خوضها من أجل توفير جرعة دواء لمريض أو تقديم خدمة إسعافية لجريح خصوصاً وأن الحكومة رفعت يدها وما كان يصل من علاجات أصبح في عداد المفقودين مضاف لذلك مصاعب التشغيل اليومي غياب الكوادر الصحية «الوقود الكهربائي الدواء» وحتى الشاش الطبي كان علينا مواجهة كل ذلك وتوفير الخدمة خصوصاً وأن المستشفى يقع في منطقة كثافة سكانية انتصرنا على كل ذلك لكن في نهاية الأمر هزمتنا قوة السلاح حين وصلت حتى العنابر حتى الحصول على النجاة كان حرب أخرى خرجت أنا بينما بقي مصير آخرين من الكوادر معلق حتى الآن مثل مدير طبي الحوادث في مستشفى الجبل عبد الحميد خميس توفيق الذي لا زال الجميع في انتظار معرفة مصيره دون جدوى.

مع ما سرده «المرضة» الناجية من الحرب يهزمك حتى سؤالها عن كيف هو شعورها في يوم الممرض السوداني. الحال هنا يغني عن السؤال والحكاية هي مجرد عنوان لكتاب كبير أسمه معاناة الكادر الطبي في السودان من الحرب، ومع الحرب، وبالطبع معاناة شريحة الممرضين الذين وجدوا أنفسهم في قلب الحرب.. الحرب التي دخلت مستشفياتهم ولم يذهبوا إليها.. يحكي ممرض عن معاناة من نوع آخر عنوانه استهداف الكادر الطبي داخل المستشفيات أو في الشوارع وعند الارتكازات ورفع التهمة الحاضرة في وجهه بأنه يوالي أحد أطراف النزاع تهمة التعاون ظلت حاضرة. تحدثك أخرى عن الم المستشفى المغلق وعن فقدانها لوظيفتها بعد نجحت الة الحرب في تحطيم المستشفى الذي كانت تعمل فيه. في يوم الممرض السوداني يصف أحدهم حاله بقوله حين وصلت لمكان عملي وجدت اللابكوت الخاص بي ملطخ بالدماء ليست دمي ولكن دم سوداني كان له أسرة وحلم وضعت الحرب نهايتها.

في يوم الممرض السوداني لا يمكنك مشاهدة أي

شكل للاحتفال في زمن الحرب صارت عملية استهداف ومهاجمة المقار الصحية عملية ممنهجة أكثر منها عشوائية بحسب تقارير التي أشارت اعتداءات ضد الكوادر الصحية ونهب المستشفيات وهو ما عرقل من تقديم خدمة الرعاية الصحية للاحتفال بيوم الممرض دون عمل. المفارقة أنه لا يوجد من يحتفل فقد ساهمت الحرب في هروب كوادر التمريض من السودان بحثاً عن الأمان بعيداً عن العنف وعدم الاستقرار على المستوى السياسي وبالطبع افتقار بيئة العمل لكل مطلوبات أداء الوظيفة لا مرتبات يتم دفعها من الحكومة ولا توريد للإمدادات الطبية في السودان الطرق المغلقة.

لكن وفي ظل هذه الظروف قرر الكثير من الممرضين الوقوف في خط النار وفي الخطوط الأمامية للقيام بواجبهم في انقاذ أرواح الناس وسط الدمار فعلوا ذلك في مستشفى النو الذي يديره متطوعون كبقعة ضوء وسط ظلمات الحرب في أدمرمان فعلوا ذلك في مستشفيات الولايات التي وصلوا إليها في رحلات نزوحهم. بل واجه بعضهم الخطر في وسط المعارك وقدم الرعاية الصحية للجنود المشاركين في الحرب التزاماً بقسمه اختار الكثيرون البقاء في مدنهم لتقديم الخدمة للمرضى غير مباشرين بالمخاطر التي واجهوها بكامل الصمود ولم يغيب الصمود عن مواجهة البوائيات التي ضربت البلاد الحميات «الكوليرا» حيث واجه كادر التمريض في كوستي الوباء متسلحاً بالواجب.

قرر كثير من العاملين في مجال التمريض الانخراط في إكمال رسالتهم والعمل استناداً على ظروفهم الجديدة وهم في بلدان النزوح بعد الحرب وتحديد فئة الممرضات حيث التحقن بالعمل في الدول التي وصلوا إليها المفارقة هي أن شعار المجلس الدولي للممرضات هذا العام «ممرضاتنا مستقبلنا رعاية الممرضات تعزز الاقتصادات» وهو الشعار الذي حملته الممرضات السودانيات من أجل تعزيز اقتصاديات الأسر وقامن بهمة الرعاية الاقتصادية لأهلهم في ظل ظروف بالغة التعقيد. وكأنهن يعدن كتابة فداء الآخرين مثلما فعلت الممرضة وشهيدة الثورة ست النفور حين قررت ان تمنح الوطن روحها فداء لسودان الحرية التي تمشي نحو العدالة وبسلام.

في البلاد المنكوبة بالحرب وأزمات الاقتصاد الخانقة وانهار النظام الصحي ومع صور الدمار الذي شهدته المستشفيات في العاصمة الخرطوم وعمليات النهب الممنهج للأجهزة الطبية وفي ظل عجز الحكومة عن دفع رواتب الممرضين لشهور ومع قصص اليوم التي تخبرك عن أدوار تقوم بها هذه الفئات لا شيء يمكن أن تقدمه غير باقة ورد مكتوب عليها «متشكرين ومقدرين يا ممرضات ويا ممرضين».

تدمير قطاع الكهرباء في السودان.. خسائر فادحة وتداعيات إنسانية

ملخص

يعالج التقرير الأضرار الجسيمة التي لحقت بقطاع الكهرباء السوداني بسبب الحرب، حيث تعرضت محطات رئيسية مثل سد مروي ومحطات «أم دباكر» و«الشواك» لهجمات مسيرة، ما أدى إلى تدمير البنية التحتية وتعطيل إمدادات الطاقة.

يخلص التقرير إلى أن الخسائر المادية هائلة، حيث فقدت محطة بحري الحرارية 100% من طاقتها، وتجاوزت خسائر محطة قري 800 مليون دولار، بينما يحتاج القطاع 3 مليارات دولار لإعادة التأهيل.

من وجهة نظر التقرير فإن سرقة الكوابل النحاسية وتدمير الشبكات زادت من معاناة المواطنين، حيث يعتمد الكثيرون على الطاقة الشمسية كبديل، بينما ارتفع سعر لوح الثلج إلى 45 ألف جنيه في بعض المدن.

يؤكد التقرير أن الهجمات الممنهجة على الكهرباء تهدف إلى استنزاف الاقتصاد، حيث أدت الحرب إلى مقتل أكثر من 20 ألف شخص ونزوح 15 مليون آخرين، وفقاً للأمم المتحدة.



وقائع

وأزمات في المستشفيات وتكدس المرضى.
تفاقت مشكلة التوصيلات غير القانونية التي تسببت في أعطال إضافية بالمحولات والأجهزة الكهربائية.
اتهامات واضحة لقوات الدعم السريع بتدمير المنشآت الكهربائية عمداً كجزء من استراتيجية الضغط الاقتصادي.

استهداف البنية التحتية للكهرباء ومنشآت حيوية مثل سد مروي ومحطات «أم دباكر» و«الشواك».
انتشار سرقة الكابلات النحاسية مع عمليات حفر منهجية في الشوارع والمباني.
تحول المواطنين للطاقة الشمسية رغم تكلفتها الباهظة مع ارتفاع أسعار الثلج.
انهيار المنظومة الصحية

شواغل المحتوى

كيف أثرت الحرب على البنية التحتية للكهرباء في السودان؟
ما البدائل التي لجأ إليها السودانيون بعد انهيار الشبكة الكهربائية؟
ما حجم الخسائر المالية التي تكبدها قطاع الكهرباء؟
هل تستهدف الهجمات المسيرة الاقتصاد السوداني بشكل ممنهج؟

أثر سلبيًا على البيئة الصحية العامة». من جهته يقول المواطن أدهم الطيب، إن «تدمير شبكة الكهرباء ألقى بظلاله على المناطق السكنية والصناعية والوزارات والبنوك، ما يزيد من حجم الخسائر». وأشار الطيب في حديثه لـ «أفق جديد»، أن «تكلفة تركيب منظومة طاقة شمسية تكلف 12 مليون جنيه سوداني».

ورصدت «أفق جديد»، ازدهار صناعة الثلج في السودان وارتفاع أسعاره في أجزاء واسعة من مدن السودان، إذ بلغ سعر لوح الثلج في مدينة ود مدني إلى 30 ألف جنيه، وفي المناقل 40 ألف جنيه، وفي عطبرة 35 ألف جنيه، وفي الدامر 35 ألف جنيه، وفي كسلا 45 ألف جنيه، وفي القضارف 40 ألف جنيه، وفي كوستي، 35 ألف جنيه، وفي ربك 35 ألف جنيه، وفي سنار 40 ألف جنيه.

ويقول محمد عبد المنعم، وهو مهندس في منظومات الطاقة الشمسية، إن «الناس اتجهت إلى الطاقة الشمسية بسبب تدمير ونهب قطاع الكهرباء في السودان».

وأكد عبد المنعم في حديثه لـ «أفق جديد»، أن شبكات الكهرباء تعرضت لأضرار كبيرة جميع أنحاء السودان ما جعل المواطن يبحث عن الطاقة الشمسية كبديل سريعة لتعويض الخسائر».

وقال المدير العام لشركة كهرباء السودان القابضة، المهندس عبد الله أحمد محمد، إن قطاع الكهرباء تضرر بشكل كبير خلال فترة الحرب، والآن يُستهدف بطائرات مسيرة بعيدة المدى يتم التحكم فيها بالأقمار الصناعية وتحلق على ارتفاع أعلى من 7 ألف كيلومتر. وأشار عبد الله في تصريحات إعلامية، إلى فقدان محطة بحري الحرارة بنسبة 100% بسبب الحرب، بالإضافة إلى فقدان محطات قري (1، 2، 4) التي تعرضت لتدمير كامل ومحطة جبل أولياء جنوبي العاصمة الخرطوم.

وأوضح أن شبكات النقل الكهربائي تدمرت بشكل كبير في ولاية الخرطوم وفقدان أكثر من 1500 كيلو متر من الأطوال والخطوط

سعر لوح الثلج في بعض المناطق وصل

45

ألف جنيه سوداني جاز غياب الكهرباء



دمرت الحرب في السودان المستمرة لأكثر من عامين البنية التحتية لقطاع الكهرباء ما أدى إلى خسائر مادية كبيرة وتفاقم الأوضاع الإنسانية.

ومؤخرًا استهدفت مسيرات انتحارية، سد مروحي شمالي البلاد، ومحطة «أم دباكر» بمدينة ربك بولاية النيل الأبيض، ومحطات «الشواك» بولاية القضارف، وبربر وعطبرة بولاية نهر النيل، ودنقلا بالولاية الشمالية. مروحي هو سد كهرومائي سوداني يقع على مجرى نهر النيل في الولاية الشمالية بالسودان عند جزيرة مروحي التي أطلق عليه اسمها، على بعد 350 كيلومتر من الخرطوم و 600 كيلومتر من ميناء بورتسودان.

واكتمل بناء السد في 3 مارس/آذار 2009، ويبلغ إجمالي طوله 9,2 كيلومتر فيما يصل ارتفاعه إلى 67 متر، وقد صاحب عملية بنائه عدد من المشاريع التحضيرية، مثل إنشاء عدد من الطرق والجسور وخط للسكة الحديد ومدينة سكنية لإقامة فريق العمل الذي تألف من 5,000 عامل نصفهم من السودانيين والنصف الآخر من الصينيين.

وتعتمد البلاد في توليد الكهرباء على المحطات الحرارية والمائية، لكن شبكات التوصيل تدمرت بسبب السرقات الواسعة للنحاس الموجود داخل المحولات في أجزاء واسعة من البلاد.

وشهدت العاصمة الخرطوم وبعض المدن الأخرى عمليات حفر واسعة في الشوارع وداخل المباني بحثًا عن كوابل النحاس بغرض بيعها في الخارج.

يقول المواطن مدثر عبد الله، إن «البلاد تعاني من انقطاع الكهرباء منذ فترة طويلة، بعد سرقة جميع المحولات والكوابل واعتمدنا على منظومة الطاقة الشمسية لتشغيل آبار المياه».

وأوضح عبد الله في حديثه لـ «أفق جديد»، أن «المستشفيات والمراكز الصحية تعاني من تكدر المرضى في ظل انقطاع الكهرباء ما

طول سد مروحي يزيد عن

9

كيلومترات فيما يبلغ الارتفاع

67

متراً للمنشأة التي اكتمل بناءها قبل أقل من عقدين



الحرارية تعرضت لتدمير واسع وخسائرها تبلغ حوالي 800 مليون دولار، كما تعطلت الشبكة العامة التي كانت تنتج حوالي 300 ميغاواط/ ساعة.

وأشار إلى أن قوات «الدعم السريع» سيطرت على محطتي بحري وقرى الحراريين بالخرطوم بحري بالتالي دون مراعاة لقواعد الاشتباك بالتالي تتحمل المسؤولية الكاملة عن الأضرار، لافتاً إلى أن خسائر محطة بحري الحرارية الواقعة شمال الخرطوم التي يصل إنتاجها إلى 400 ميغاواط/ساعة، يبلغ حوالي 300 مليون دولار.

وأكد أن شركة الكهرباء اضطرت لتوريد نحو 20 محولاً إلى ود مدني عاصمة ولاية الجزيرة عقب استردادها بواسطة الجيش منتصف يناير 2025 لتغطية وسط المدينة والأحياء بعد أن تعرضت إلى تخريب كبير من قوات الدعم السريع.

وأشار إلى أن العاصمة السودانية تحتاج إلى تأهيل شبكة الكهرباء في مسافة لا تقل عن 150 كيلو مترا وهذا المشروع لا يقل تكلفته عن 50 مليون دولار وتأهيل مكاتب الخدمات التي تعرضت إلى نهب غير مسبوق وإعادتها إلى النظام الإلكتروني للدفع.

**إجمالي
خسائر محطة
قرى تبلغ**

800

**مليون
دولار فيما
تناهز خسائر
محطة بحري**

300

**مليون
دولار
والإجمالي**

3

**مليارات
دولار كلفة
الاحتياجات
لإصلاح القطاع**

والأبراج وشبكات النقل بسبب اعتداءات الميليشيا المتمردة، لافتاً إلى فقدان أكثر من 20 ألف برميل من زيوت المحولات، وأن قطاع الكهرباء خسر أكثر من 1000 ميغاواط بنسبة تعادل 35% من إجمالي القدرة الكاملة.

ونبه عبد الله إلى معاناة قطاع الكهرباء من التوصيلات العشوائية باعتبارها عمل غير قانوني ومضر بالمحولات وأدى إلى أعطال كبيرة، مناشداً المواطنين بضرورة التوقف عن استخدام التوصيل العشوائي لضمان انسياب التيار الكهربائي بصورة طبيعية وتلافي الأضرار في المحولات والأجهزة المنزلية.

وأعلن المدير العام لشركة كهرباء السودان، عن تفاهات مع الحكومة المصرية لزيادة الربط الكهربائي بين البلدين.

وقال مسؤول في شركة كهرباء السودان، إن قطاع الكهرباء يحتاج إلى حوالي 3 مليار دولار لصيانة الشبكة العامة والمحطات الحرارية التي تعرضت إلى أضرار غير مسبوقة.

وأوضح المسؤول الذي فضل حجب هويته -كونه غير مخول للحديث لأجهزة الإعلام- في حديثه لـ«أفق جديد»، أن محطة «قرى»

ما وراء الأرقام..

شهادات صادمة عن فوضى تصحيح الثانوية المؤجلة

ملخص

يكشف التحقيق عن فوضى غير مسبوقة في تصحيح شهادة الثانوية السودانية لعام 2023 (الدفعة المؤجلة)، بدءاً من خلط أوراق الامتحانات بين المواد، مروراً بتوجيهات صريحة للمصححين بـ«المرونة» غير المبررة (مثل منح 8 درجات حداً أدنى للتعبير بغض النظر عن الجودة)، ووصولاً إلى نتائج متناقضة لنفس الطالب بين «نجاح» و«رسوب» في النظام الإلكتروني.

يتتبع التحقيق جذور الأزمة من تأجيل الامتحانات مرات بسبب الحرب، مروراً بضعف الإشراف على المراكز الخارجية، وإهمال شكاوى والتلاعب المحتمل في «أكواد الطلاب» أو النظام الإلكتروني.

يستعرض شهادات صادمة لطلاب وأهال، مثل طالب حصل على 84,7% ثم 48,9% في نفس النتيجة، أو طالبة وجدت نتيجتها مطابقة لنتيجة العام السابق (67,9%) رغم اجتهادها. طلاب في مصر وأوغندا حصلوا على «0%» أو «رسوب جماعي» رغم أدائهم الجيد.

يُنهى التقرير بتحذير من انهيار مصداقية الشهادة السودانية، مطالباً بتحقيق عاجل، خاصة بعد حملات إلكترونية وهاشتاغات وتأكيد لجنة المعلمين على وجود «أخطاء جسيمة» بدءاً من مرحلة الكود.

استفهامات عالقة

في السودان؟
كيف تتعامل السفارات السودانية مع شكاوى الطلاب في الخارج؟
ما مدى مصداقية النظام الإلكتروني للنتائج بعد هذه الأخطاء الفادحة؟
لماذا رسبت طالبة مجتهدة في العربية والقرآن بينما نجح آخرون بمستويات متدنية؟
هل يمثل هذا الفشل الذريع بداية النهاية لنظام التعليم السوداني؟

كيف انقلبت «مراعاة ظروف الحرب» إلى ذريعة للتلاعب بالدرجات؟
ما سر العروض المشبوهة لتعديل النتائج؟
كيف يمكن لطلاب الحصول على ثلاث نتائج مختلفة في آن واحد؟
لماذا تجاهلت الوزارة مئات الشكاوى رغم الأدلة الدامغة؟
هل كانت أوراق الكيمياء في ظروف العربية مجرد خطأ بريء؟
ما تأثير المسألة على مستقبل التعليم العالي

توصيات ومطالب

تشكيل لجنة تحقيق مستقلة.
إعادة تصحيح الأوراق بشكل شفاف.
محاسبة المتورطين في التلاعب أو الفساد.
تعويض الطلاب المتضررين الذين ضاع جهدهم بسبب «الخراب المنظم».

أفق جديد

من أصل

1046

في أوغندا

571

طالباً
رسبوا

لـ(أفق جديد): «تأخر تسليم الأوراق لنا لمدة يومين، طلبوا منا أن نُجامل الطلاب لأنهم ضحايا حرب، لكن بعض الجامعات تجاوزت حد المعقول وتحولت إلى تلاعب ظاهر». واستدعيت انتصار للمشاركة في التصحيح، وأشارت إلى أنه «تم اختيار 7 معلمين من كل محلية للمشاركة في تصحيح المواد الأساسية، واثنين من كل محلية للمواد الفرعية، وكموجهة للغة العربية، تم اختيارها للمشاركة في تصحيح مادة اللغة العربية. وأضافت: في البداية تم إبلاغنا بأن التصحيح سيبدأ في 1 فبراير، ثم تم تأجيله إلى 8 فبراير، وبعدها إلى 15 فبراير. وفي اليوم الأول جلسنا في مركز التصحيح طوال اليوم دون أن تصلنا الأوراق، وسمعنا حينها أن هناك مشكلة في الكود. في اليوم التالي، تلقى المصححون تعليمات واضحة بمراعاة ظروف الطلاب الذين أدوا امتحاناتهم في ظل الحرب، وذلك بإظهار نوع من «المرونة» في التصحيح. قالت عفاف: تم توجيهنا صراحة إلى أن الحد الأدنى لمادة التعبير يجب ألا يقل عن 8 درجات، بغض النظر عن جودة المحتوى. وحتى في أسئلة الشعر، إذا أجاب الطالب على بيت واحد بشكل صحيح وأخطأ في الآخر أو لم يكمله، يُمنح

رغم حضورهم
حصل

37

طالباً في
مصر على
«رسوب
كامل»

أثناء عملية التصحيح بإحدى القاعات في مدينة شندي بولاية نهر النيل، فوجئت المعلمة انتصا عند فتحها أحد مظاريف امتحان مادة اللغة العربية، بوجود ورقة امتحان تخص مادة الكيمياء داخل الظرف المخصص للعربية.
لم يكن ذلك مجرد خطأ بريء في الترتيب، بل كان مؤشراً خطيراً على فوضى أوسع في منظومة تصحيح امتحانات الشهادة الثانوية للعام 2023، التي ظل الطلاب السودانيون داخل وخارج البلاد ينتظرون نتائجها وسط مخاوف وقلق متزايدة.
الامتحانات، المعروفة بـ«الدفعة المؤجلة»، هي امتحانات خاضها طلاب كان من المفترض أن يؤدوا امتحاناتهم قبل عامين، لكنهم تأثروا باندلاع حرب 15 أبريل، ما أدى إلى تعليق الدراسة في معظم الولايات، وتأجيلها أكثر من مرة، لتعقد مؤخراً بحلول ديسمبر 2024م، في ظل ظروف استثنائية، قبل أن تعلن النتيجة في مايو الجاري.
من داخل غرف التصحيح قالت انتصار، وهو اسم اخترناه لها عوضاً عن اسمها الحقيقي لدواعي لحماية،

جمهورية السودان وزارة التربية والتعليم نتيجة الشهادة الثانوية المؤجلة للعام الدراسي ٢٠٢٢ م	
اسم الطالب	احمد صلاح الدين الامين الجبيل
رقم الجلوس	82821
النتيجة	نجاح
النسبة	71.9

جمهورية السودان وزارة التربية والتعليم نتيجة الشهادة الثانوية المؤجلة للعام الدراسي ٢٠٢٢ م	
اسم الطالب	احمد صلاح الدين الامين الجبيل
رقم الجلوس	370368
النتيجة	غياب
النسبة	0

تلقاهم عروضاً لتعديل نتائجهم مقابل مبالغ مالية تصل إلى 13 ألف جنيه مصري، من أمثلة ذلك الطالب سليمان، الذي جلس لامتحانات الشهادة السودانية للعام 2023 من داخل السودان، تواصل مع شخص عبر رقم واتساب أرسله له أحد الأصدقاء، ادعى أنه يستطيع تعديل النتيجة بمقابل مالي. يحكي سليمان: «طلب رقم جلوسي واسم والدتي رباعي، وأخبرني أن التعديل يكلف 13 ألف جنيه مصري». إلا أن الطالب رفض تحويل المال دون معلومات إضافية. لم تؤكد وزارة التربية والتعليم صحة هذه الرسائل أو تتخذ إجراءات لطمأنة الطلاب وملاحقة المحتالين.

«قاتلنا لأجل النجاح.. فصدمننا برسوب لا نستحقه» قال الطالب عبد الرحمن الشيخ محمد، أحد طلاب دفعة الشهادة السودانية المؤجلة للعام 2023، في إفادته لـ (أفق جديد) إنه اجتهد كثيراً واستعد لامتحانات رغم الظروف النفسية والأمنية القاسية التي مر بها هو وزملاؤه. وأوضح أنه كان قد أحرز نسبة 71% في الامتحان التجريبي، وكان يتوقع نتيجة أعلى في الشهادة، خاصة أن أسئلة التجريبي كانت أصعب من أسئلة الشهادة الفعلية.

وأشار إلى أن الحرب تسببت في تأجيل الامتحانات عدة مرات، وكان الطلاب يعيشون حالة من القلق والإحباط، خاصة مع تدهور الأوضاع الأمنية واستمرار القصف بالقرب من مناطقهم، وهو ما جعل الدراسة والاستعداد للامتحانات تحدياً كبيراً. وأضاف: «كنا نراجع ونذاكر تحت



الدرجة كاملة. وقد التزمت تماماً بهذه التوجيهات أثناء التصحيح.

وتروي انتصار ما حدث في غرفة التصحيح قائلة: «عندما فتحنا أحد المظاريف، اكتشفنا وجود ورقة امتحان مادة الكيمياء داخل مظروف مادة اللغة العربية» وأردفت: زميلي قام بأخذ الورقة إلى رئيس الحجرة، ثم تم رفعها إلى الكنترول. وتم التحقق من اسم المراجع وسحب الورقة».

وفي اليوم التالي، حضر مسؤول من الكنترول إلى مركز التصحيح وسأل عن المجموعة التي اكتشفت الورقة المخالفة. وأكدت انتصار التي تمتلك خبرة تمتد لـ 27 عاماً في التدريس والتصحيح، أن ما حدث يُعد سابقة في مسيرتها المهنية.

قصة الأستاذة انتصار لم تكن الوحيدة التي أثارت الشكوك، بل كانت نقطة البداية لسيل من الإفادات التي انتشرت عبر مواقع التواصل الاجتماعي، يشكو فيها طلاب من أخطاء فادحة في التصحيح ورصد الدرجات، العشرات تحدثوا لـ (أفق جديد) عن تجاربهم، كاشفين عن رسوب جماعي، نتائج متناقضة، ومؤشرات خطيرة على وجود خلل في «أكواد الطلاب» والنظام الإلكتروني الخاص بالنتائج.

ثلاث نتائج لطالب واحد

حسين عبد الباقي، والد الطالب مصعب، تحدث لـ (أفق جديد) عن ظهور ثلاث نتائج مختلفة لابنه، تتراوح بين 63% و73%، وبينها أخرى تشير إلى «رسوب»، متسائلاً: «أيها هي النتيجة المعتمدة؟ ولماذا التلاعب؟». يقول حسين إن ابنه يعاني نفسياً بعد أن احتفل بالنجاح، قبل أن يتلقى صدمة الرسوب.

رسائل غامضة ومساومات

في واحدة من الشهادات المقلقة، كشف طلاب عن

وفي حالات أخرى، قال طلاب إنهم لم يمتحنوا أصلاً، ومع ذلك ظهرت لهم نتائج تتضمن أسماءهم ونسب نجاح «عالية»، بينما ظهر لزملائهم الحاضرين فعلياً «غياب». أما في أوغندا، فبحسب الإحصائيات غير الرسمية، فقد رسب 571 طالباً من أصل 1046 طالباً.

نسبتي 0% رغم أنني واثق من أدائي

قال طالب جلس لامتحانات الشهادة السودانية من مصر - إنه صُدم حين ظهرت نتيجته بنسبة 0%، رغم أنه واثق من أنه أجاب في معظم المواد، وقال الطالب الذي فضل حجب هويته لـ (أفق جديد): «رسبت في مواد أديتها بشكل جيد جداً، ولا يمكن أن تكون النتيجة صفراً، حتى الطالب الراسب يفترض أن تُحسب له نسبة مئوية على الأقل».

وأضاف، أن محاولاته للتحقق من النتيجة قادتته إلى رقم مجهول زعم أنه يقدم خدمة «تعديل النتائج»، لكنه يعتقد أنه كان مجرد فخ للاحتيال المالي.

وأشار إلى أن مجموعة من الطلاب المتضررين توجهوا إلى السفارة السودانية بالقاهرة لعرض شكاوهم المكتوبة، لكنهم قوبلوا بالامبالاة، وقال: «مشينا السفارة وكنا مجموعة كبيرة، إلا أن الرد كان اركبوا امشوا عطبرة».

وأكد أن كثيراً من زملائه يشاركونه الشكوك ذاتها بشأن حدوث تلاعب في النظام الإلكتروني الخاص بالنتائج أو في توزيع الأكواد، مطالباً الوزارة بمراجعة النتائج بشكل عاجل وإنصاف الطلاب.

ضياح ثلاث سنوات من الاجتهاد

عبرت نسرين سلطان البرير، الطالبة التي أدت امتحانات الشهادة من مدرسة بالقاهرة، عن صدمتها الشديدة بعد صدور نتيجتها التي أظهرت رسوبها في أربع مواد، من بينها اللغة العربية والقرآن

	
جمهورية السودان	وزارة التربية والتعليم
نتيجة امتحانات الشهادة الثانوية 2023 - المؤجلة	
رقم الجلوس	83226
الاسم	مصعب حسين عبدالباقي احمد
النسبة	63.9%
الحالة	نجاح
رجوع	

	
جمهورية السودان	وزارة التربية والتعليم
نتيجة امتحانات الشهادة الثانوية 2023 - المؤجلة	
رقم الجلوس	83226
الاسم	مصعب حسين عبدالباقي احمد
النسبة	0%
الحالة	رسوب
رجوع	

وقع المسيرات والانفجارات، لكننا أصررنا على مواصلة طريقنا رغم كل الصعوبات».

وذكر عبد الرحمن أنه تفاجأ بنتيجة «رسوب»، رغم ثقته في أدائه، وقال إن والدته عندما أخبرته بالنتيجة ظن في البداية أنها تمزح. وأكد أن عدداً من زملائه تعرّضوا لمواقف مشابهة، فبعضهم ظهرت لهم نتائج رغم أنهم لم يجلسوا للامتحانات، وآخرون جلسوا للامتحانات وسُجلوا ضمن الغياب، ما يشير إلى وجود خلل واضح في النتائج.

وختم عبد الرحمن حديثه بمناشدة وزارة التربية والتعليم بمراجعة النتائج وإنصاف الطلاب، قائلاً: «نحن لا نطلب أكثر من حقنا، فقد بذلنا جهداً كبيراً ونستحق التقدير لا الظلم».

مآب بابكر من شندي أكدت أنها امتحنت للعام الثالث، من مدرسة القليعة بنات بشندي ولاية نهر النيل وتفاجأت بأن نتيجتها هي نفسها القديمة. 67,9 وقالت: «كنت متوقعة فوق الـ 80%، لكن طلعت نفس نسبتي في 2022، والدرجات متطابقة كأنها لم تتغير».

أما الطالب أحمد طارق سعد عبداللطيف، الذي جلس لامتحانات الشهادة السودانية من داخل السودان، النتيجة الأولى أظهرت نسبة نجاح 84,7%، بينما ظهرت نتيجة أخرى لاحقاً بالنسبة 48,9%، وهي نسبة تُعد في العادة رسوباً لكونها دون الحد الأدنى للنجاح (50%)، إلا أن النظام وصفها أيضاً بـ «ناجح».

شكاوى جماعية من طلبة الخارج

الصدمة لم تكن فردية. بحسب مجموعات طلابية في أوغندا ومصر، فإن أكثر من 37 طالباً امتحنوا من خارج السودان ظهرت نتائجهم كـ «رسوب كامل»، وبعضهم حصل على نسبة «0%» رغم تأكيدهم بأنهم أدوا الامتحانات بشكل جيد.

الكريم، رغم اجتهداها الكبير واستعدادها المكثف طوال العام الدراسي.

وقالت نسرين في حديثها لـ (أفق جديد): «لقد بذلنا كل ما في وسعنا. كنا ننام بالكاد ساعتين في اليوم. كنت أغادر منزلي في السادسة صباحاً لأتوجه إلى المكتبة، ثم إلى حصة التركيز، وبعدها إلى قاعة الامتحان الذي يبدأ في الثانية ظهراً. لم أتوقع مطلقاً أن أحصل على أقل من 70%، لكن النتيجة كانت صادمة، إذ وردت نتيجتي (رسوب) حتى في المواد التي كنت واثقة من أدائي فيها، كالعربية والقرآن الكريم».

وأشارت إلى أن المادة الوحيدة التي كانت تتوقع أن تكون نتيجتها ضعيفة فيها هي التاريخ، بسبب ضغوط نفسية مرت بها خلال فترة الامتحانات. وأضافت: «ما يدعو للاستغراب أن جميع زميلاتي في الفصل ظهرت لهن نتائج رسوب، وهو أمر يصعب تصديقه. من غير المعقول أن يرسب فصل بأكمله دون استثناء، على الرغم من اجتهد الطالبات».

وذكرت نسرين أنها كانت تدرس في أحد المعاهد بمنطقة فيصل، وكانت تقطع ساعتين يومياً عبر محطة مواصلات للوصول إلى المركز التعليمي، قائلة: «لقد اجتهدنا وبذلنا كل ما نملك من وقت وجهد، وصرفنا كثيراً على التعليم، لكن ما حدث بدد تعب ثلاث سنوات في لحظة. وحتى الآن، لم يصدر أي توضيح رسمي أو إعلان عن مراجعة أو إعادة تصحيح من الوزارة».

أخطاء جسيمة

الغضب ترجم إلى حملة على وسائل التواصل الاجتماعي وهاشتاق #التصحيح_العادل_حق_لكل_طالب، إلى جانب، (عايزين حقنا #دي_ما_درجاتنا) (#نطالب_بإعادة_التصحيح) (#وزارة_التربية_اعيدوا_التصحيح #اعيدوا_مراجعة_نتائج_الشهادة_السودانية_2023)

وتفاعلت لجنة المعلمين السودانيين مع هذه المطالب، مؤكدة تلقيها مئات الشكاوى من الطلاب وأسرههم عبر صفحاتها، ما استدعى تكوين لجنة مختصة لفرز وتصنيف الشكاوى وتمحيصها. وأصدرت بياناً طالبت فيه وزارة التربية بالكف عن «المكابرة» وتشكيل لجنة تحقيق مستقلة لمراجعة ما جرى، حفاظاً على ما تبقى من سمعة الشهادة السودانية وحقوق الطلاب.

وقد أظهرت الشكاوى المتكررة وفقاً لبيان اللجنة،

الحد الأدنى المفروض على تصحيح التعبير

8

درجات دون اعتبار للمحتوى

ملاحح خلل واضح في النتائج، حيث وردت إفادات عن حصول طلاب على درجات ممتازة في مواد مثل اللغة الإنجليزية والكيمياء والفيزياء والرياضيات المتخصصة، مقابل نتائج متدنية جداً أقل من 10 درجات في مواد أخرى مثل التربية الإسلامية واللغة العربية والأحياء وعلوم الحاسوب، بصورة لا تتسق مع الأداء العام للطلاب. كما لوحظ حصول طلاب معروفين بتدني مستواهم الأكاديمي على نسب مرتفعة بشكل مفاجئ وغير منطقي، في وقت رسب فيه طلاب متفوقون بحسب سجلاتهم الدراسية في الأساس والثانوي، بينهم طلاب إعادة سبق أن أحرزوا نسب نجاح عالية.

وردت كذلك شكاوى من طلاب أكدوا جلوسهم للامتحانات، لكن نتائجهم ظهرت ضمن الغياب، وأخرى أظهرت درجات لبعض المواد مقابل غياب في أخرى رغم أدائهم لكل الامتحانات. كما وردت حالات طلاب ظهر رقم جلوسهم باسم طالب آخر أو طالبة، وكذلك ظهور نتائج لأشخاص لم يجلسوا للامتحانات أصلاً، إضافة لنتائج غير مكتملة لطلاب جلسوا للامتحان، حيث احتسبت درجات بعض المواد بينما ظهرت مواد أخرى كغياب، فضلاً عن أخطاء في بيانات الجلوس، منها ظهور رقم طالب باسم طالبة والعكس.

وأكدت اللجنة أن ما حدث هذا العام يشكل مساساً خطيراً بمصداقية الشهادة الثانوية السودانية، ويجسد مستوى الانحدار الإداري الذي وصلت إليه العملية التعليمية، ورأت أن ما زاد من ألم الطلاب وأسرههم التصريحات الصادرة عن المسؤولين بالوزارة، التي نفت بشكل قاطع وجود أي أخطاء في عملية التصحيح أو إعلان النتائج، رغم وجود شواهد دامغة وإفادات من خبراء، من بينهم الأستاذ إبراهيم أحمد الحسين، كبير مصححي مادة اللغة العربية الخاصة، الذي تحدث عن وجود أخطاء جسيمة في عملية التصحيح بدأت من مرحلة الكود، بالإضافة إلى ملاحظات بشأن طريقة اختيار المراقبين في بعض المراكز الخارجية، التي لم تراعى الكفاءة ولا الخبرة.

أحدثت هذه الوقائع صدمة وسط الأسر، لا سيما أن امتحانات الشهادة الثانوية تمثل بوابة الدخول إلى التعليم العالي والفرص المهنية. ويخشى كثيرون من أن يكون ما جرى هذا العام بداية لانهايار أعمق في نظام تعليمي كان يوصف يوماً بأنه من بين الأفضل في المنطقة.



بورتسودان تحت قصف المسيرات

تحليل يستقرئ ما وراء الأحداث إثر الهجمات المسيّرة التي استهدفت بورتسودان في النصف الأول من الشهر الجاري، واستهدفت قاعدة عثمان دقنة والميناء الرئيسي، مما عطل الإمدادات الحيوية وحركة المساعدات الإنسانية، في تصعيد يوضح تدخل أطراف إقليمية في الصراع.

ملخص

التصعيد الدبلوماسي ضد الإمارات قد يقوّي تحالفات الجيش مؤقتاً، لكنه يخاطر بخلخلة دعم القوى المرتبطة بالخليج، بينما تستمر قوات الدعم السريع في سياسة «الإنكار المحسوب» لتجنب الإدانة الدولية.

رد فعل السلطات من وجهة نظر التحليل كان ضعيفاً، مع غياب الشفافية حول الخسائر وخطة طوارئ، مما يهدد شرعية الجيش ويزيد من معاناة المدنيين الذين يعتمدون على ميناء بورتسودان للإمدادات الأساسية.

يخلص التحليل إلى أن الحرب دخلت مرحلة جديدة مع تشابك العوامل المحلية والإقليمية، حيث يسعى الجيش لتحالفات خارجية (ككوريا الشمالية)، مما قد يزيد عزله ويطيل أمد الصراع دون أفق سياسي واضح.



أرقام ووقائع

تاريخ الهجمات: بدأت في 4 مايو 2025.
الأهداف الرئيسية: قاعدة عثمان دقنة، الميناء، مستودعات الوقود، المطار.
الخسائر غير المعلنة: انقطاع الكهرباء، تعليق الرحلات الإنسانية، اضطراب سلاسل الإمداد.
التداعيات الاقتصادية: تهديد المخزون الإستراتيجي من الوقود والمواد التموينية.
التحول الدبلوماسي: اتهام الإمارات بإسناد وتشوين الدعم السريع، ثم قطع العلاقات.

شواغل المحتوى

ما تأثير الهجمات المسيّرة على البنية التحتية والمدنيين في بورتسودان؟
كيف تعاملت السلطات السودانية مع الأزمة، ولماذا فشلت في تقديم إجابات واضحة؟
هل يُعد قطع العلاقات مع الإمارات خطوة ذكية أم مخاطرة سياسية؟
ما الدلالات الاستراتيجية لزيارة وزير الدفاع السوداني إلى كوريا الشمالية؟

محمد أحمد

الميناء الرئيسي، ومطار المدينة الدولي، ما أدى إلى حرائق واسعة، انقطاع الكهرباء، وتعليق الرحلات الإنسانية.

هذا التصعيد لا يُقرأ فقط عسكرياً، بل هو أيضاً رسالة سياسية وميدانية معقدة تعيد ترتيب مشهد الحرب السودانية، وتكشف عن انخراط قوى إقليمية في إدارة الصراع بشكل مباشر أو عبر وكلاء محليين.

في تطور نوعي وغير مسبوق، استهدفت سلسلة هجمات بطائرات مسيّرة مدينة بورتسودان الإستراتيجية على البحر الأحمر، حيث تتمركز القيادة العليا للجيش السوداني ومؤسسات الدولة المدنية. الهجمات التي بدأت في 4 مايو 2025 طالت قاعدة عثمان دقنة الجوية، مستودعات الوقود،

رد فعل السلطات: خطاب هش أمام كارثة متعددة المستويات

رغم ضخامة الحدث وتعدد تبعاته، اتسم رد فعل سلطات بورتسودان والقيادة السياسية والعسكرية المركزية بغياب خطاب واضح وجريء يخاطب الشعب السوداني بحجم الكارثة. فالقصف بالمسيّرات لم يقتصر على المدينة الساحلية وحدها، بل شمل مدناً أخرى مثل سواكن، كوستي، الأبيض، كسلا، والفاشر، ما يكشف عن اتساع رقعة الاستهداف وعن اختراقات أمنية كارثية في عمق المناطق التي كانت تُعتبر «مؤمنة» فضلاً عن تلك التي ظلت مشتعلة لفترة طويلة.

ومع ذلك، لم تصدر السلطات بياناً مفصلاً يوضح حجم الخسائر الفعلية في الأرواح والمعدات والمنشآت، ولم تشرح كيف ستعالج الأثر المباشر على الإمدادات الحيوية التي يعتمد عليها ملايين المدنيين. إذ تؤثر الضربات بشكل مباشر على حركة الوقود وغاز الطبخ، وهددت المخزون الإستراتيجي من المواد التموينية، وأوقفت حركة الإغاثة الإنسانية التي كانت تصل عبر مطار وميناء بورتسودان.

اقتصادياً، من الراجح أن تحدث الهجمات اضطراباً بالغاً في حركة التجارة الخارجية، حيث تتضرر سلاسل الإمداد المرتبطة بالميناء البحري الرئيسي، ما يؤثر على توفر الأدوية ومدخلات الإنتاج الزراعي والصناعي في البلاد. ومع تراجع الثقة في قدرة الجيش على تأمين المدينة، قد تتراجع حركة السفن التجارية، وتدخل البلاد مرحلة أشد من الانهيار الاقتصادي، وسط غياب خطة طوارئ اقتصادية أو إجراءات لتثبيت الوضع.

هذا الغياب شبه الكامل للشفافية والتخطيط يعكس أزمة أعمق داخل المنظومة الحاكمة، وحتماً سوف يؤثر على ما تبقى من شرعية الجيش في نظر القاعدة الشعبية التي كانت تُعول على استقرار بورتسودان كمركز للنجاة من الجحيم الممتد في بقية البلاد.

تمتين أم تصدع في تحالفات الجيش؟

في محاولته استثمار الحدث، سارع الجيش إلى اتهام الإمارات بدعم قوات الدعم السريع وقطع العلاقات الدبلوماسية معها. هذا التصعيد الدبلوماسي يُظهر محاولة من الجيش لتأطير الصراع كحرب على «تدخل خارجي»، ما قد يعزز مؤقتاً تماسك تحالفاته مع بعض القوى المدنية،

وخاصة تلك التي لا ترتبط بمصالح مباشرة مع الإمارات.

لكن من جهة أخرى، فإن هذه الخطوة قد تؤدي إلى تصدع داخل المعسكر المؤيد للجيش، لا سيما بين القوى المرتبطة اقتصادياً أو سياسياً بالخليج، أو تلك التي كانت تفضّل الحياد في النزاع الإقليمي المتداخل مع الحرب.

لعبة الإنكار المحسوب

نفثت الإمارات بشكل قاطع الاتهامات السودانية، في موقف لا يخلو من دلالة. فمن جهة، تحاول أبو ظبي الحفاظ على هامش مناورة دبلوماسي، خاصة مع تنامي الضغوط الغربية ومواقف السعودية ومصر المتحفظة. ومن جهة أخرى، يعكس النفي استمرار الإمارات في إستراتيجية «الإنكار المعقول»، التي تسمح لها بدعم حلفائها دون تحمّل تبعات مباشرة.

وفي السياق ذاته، لم تعلن قوات الدعم السريع رسمياً مسؤوليتها عن الهجوم، رغم وجود مؤشرات قوية على تورطها. هذا التكتيك يعكس تطوراً في أدائها العسكري، وحرصها على تجنب الإدانة الدولية، كما يمنحها ميزة «الضرب بلا توقيع»، ما يربك الجيش ويضعه في موقع رد الفعل المستمر.

أما زيارة وزير الدفاع السوداني إلى كوريا الشمالية، فهي دلالة واضحة على بحث الجيش عن بدائل تسليحية خارج المعسكر العربي والغربي، ما يؤشر على انزياح تدريجي نحو تحالفات مع أنظمة منبوذة دولياً. هذا الخيار قد يُكسب الجيش دعماً عسكرياً، لكنه يزيد من عزله السياسية ويعرض السودان لمزيد من العقوبات والعزلة الدولية.

تحول استراتيجي لا ينذر بنهاية قريبة

إن ما يحدث في بورتسودان ليس مجرد هجوم عسكري، بل هو نقطة تحول في الحرب، تدل على دخول الصراع مرحلة جديدة يتشابك فيها المحلي بالإقليمي والدولي. استخدام المسيّرات، التصعيد الدبلوماسي، وتحرك السفن الإريتيرية والزيارات الخارجية، جميعها تشير إلى أن الحرب لم تعد معركة بين جيش ومليشيا، بل ساحة لصراع إقليمي معقد قد يطيل أمد الحرب ويقضي نهائياً على ما تبقى من مؤسسات الدولة في ظل غياب أية حلول تفاوضية تلوح في الأفق.



عامان من النار والأصفار.. سيناريو توحش الحرب الأقرب

عثمان فضل الله

ملخص

يستقرئ التحليل الهجمات المسيرة التي شنتها قوات الدعم السريع على بورتسودان في مايو 2025، والتي حولت المدينة من ملاذ آمن إلى ساحة حرب، مستهدفة البنى التحتية الحيوية مثل الميناء ومحطات الطاقة، مما كشف عن دعم خارجي متقدم (إماراتي وفق اتهامات الجيش).

الحرب لم تعد صراعاً داخلياً فحسب، كما يذهب التحليل، بل تحولت إلى مواجهة إقليمية بعد قطع السودان العلاقات مع الإمارات، واتجاه الجيش لتحالفات مع دول منبوذة (كإيران وكوريا الشمالية)، مما يعمق عزلة النظام ويدفع نحو سيناريو الانهيار أو التقسيم.

في زاوية من التحليل يمثل التصعيد تحولاً استراتيجياً في الصراع، حيث انتقلت قوات الدعم السريع من حرب الشوارع إلى حرب التكنولوجيا العالية، مستفيدة من تفوقها في السماء رغم خسارتها الأرض في الخرطوم، مما خلق «تكافؤاً غير متماثل» مع الجيش.

في خلاصة نهائية يذهب الكاتب إلى أن السلام مازال بعيداً، فالأطراف لا تزال تعتقد بقدرتها على تحقيق مكاسب عسكرية، بينما يدفع المدنيون الثمن: 25 مليوناً يعانون انعدام الأمن الغذائي، وتضخم تجاوز 118%، وانهيار اقتصادي كامل، في حرب قد تطول بفعل التدخلات الخارجية والصراع الجيوسياسي على البحر الأحمر.



حرب المسيرات في السودان.. تصعيد عسكري وانقسام جيوسياسي بلا نهاية مرئية

وقائع وأرقام

الهجمات المسيرة: استمرت 8 أيام متتالية، مستهدفة ميناء بورتسودان (80% من تجارة السودان) وقاعدة عثمان دقنة. الخسائر الاقتصادية: تضخم 118%، انهيار الجنيه بنسبة 99% منذ بداية الحرب. الأزمة الإنسانية: 25 مليون سوداني يعانون انعدام الأمن الغذائي. التدخلات الخارجية: اتهامات للإمارات بدعم الدعم السريع، وتحالف الجيش مع إيران وكوريا الشمالية. السياق الإقليمي: مخاوف إسرائيلية من تحول السودان إلى مركز لنفوذ إيراني، وفق تقارير إعلامية. سيناريو الحرب: استنزاف طويل الأمد مع غياب حل سياسي بسبب تعنت الأطراف وتدخلات خارجية.

عناوين جانبية استفسارية

كيف غيرت هجمات بورتسودان المسيرة خريطة الصراع في السودان؟
هل تحول الدعم السريع إلى «قوة جوية» بفضل الدعم الخارجي؟
ما تداعيات تحالف الجيش مع إيران وكوريا الشمالية على مستقبل السودان؟
لماذا تفشل الجهود الدولية في إيقاف الحرب رغم الكارثة الإنسانية؟

ما بين الرابع والثامن من مايو 2025، خرجت مدينة بورتسودان من موقعها كملاذ آمن نسبي في خريطة الحرب السودانية، لتتحول إلى ساحة مواجهة مباشرة، بعد أن استهدفتها قوات الدعم السريع بسلسلة هجمات جوية بالطائرات المسيّرة. لم يكن الهجوم مجرد حدث عسكري عابر، بل تحولاً هيكلياً في ديناميات الصراع، كشف هشاشة سلطة بورتسودان، وعمّق ملامح الانقسام الجيوسياسي داخل السودان، وربما الأهم أنه أدخل الإقليم في متاهة جديدة من التوترات في منطقة بالغة الحساسية وتعاني الالتهاب أصلاً.

مليشيا الدعم السريع لم تتوقف عند استهداف مواقع عسكرية بحتة، بل وسّعت نطاق القصف ليشمل بُنى تحتية حيوية كالميناء، محطات الطاقة، مستودعات الوقود، ومرافق مدنية مثل فندق كورال مارينا، في عرض واضح لقوة نيران بعيدة المدى مدعومة بتكنولوجيا متقدمة، يرجّح أن مصدرها دعم خارجي نوعي، توجهت أصابع الاتهام فيه مباشرة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة.

هذا التحول في التكتيك - من حرب شوارع في الخرطوم إلى قصف دقيق عبر المسيّرات في أقصى شرق البلاد - يعكس ما يسميه محللون بـ«التكيف الإستراتيجي» لقوات الدعم السريع، التي خسرت الأرض في العاصمة لكنها ربحت السماء فوق بورتسودان ومناطق عديدة أخرى.

الرسالة الأكثر وضوحاً من هذه الضربات هي أن «لا مكان آمن»، حتى في بورتسودان، التي تحولت إلى مركز قيادة للجيش ومقرّاً للحكومة. فالضربة طالت ما يمكن اعتباره العمود الفقري الإداري واللوجستي للدولة، مما أضعف الخطاب الرسمي للقوات المسلحة حول السيطرة والشرعية، وزاد من الضغوط النفسية على جنودها ومؤسساتها.

حتى في حال تمكن الجيش من اعتراض بعض المسيّرات، فإن مجرد استمرار الهجمات لثمانية أيام متتالية يكشف عن خلل في القدرة الدفاعية، وعن فجوة متزايدة بين حرب تقليدية تحاول القوات المسلحة السودانية خوضها، وحرب غير متماثلة تجيد الدعم السريع وحلفاؤها الظاهريين والمستترين إدارتها.

الاتهام المباشر من الخرطوم لأبو ظبي - ثم قطع العلاقات معها - لم يكن خطوة دبلوماسية معزولة، بل تصعيداً علنياً لصراع ظل يُدار خلف الستار لسنوات. فبدلاً من لعبة النفوذ الصامتة بين الإمارات ومصر في المسرح السوداني، نشهد اليوم مواجهة علنية، تدفع نحو إعادة فرز التحالفات الإقليمية على ضفاف البحر الأحمر.

تقول أبوظبي إنها لا تعترف بشرعية حكومة بورتسودان، مما يعمّق مأزق الشرعية الدولية للسلطة القائمة، ويمنح الدعم السريع مخرجاً سياسياً قد يتحوّل إلى اعتراف ضمني بها كطرف قابل للتفاوض، إنها ليست مجرد أزمة دبلوماسية، بل تشققات في الجسد العربي بشأن ما يدور في السودان، مما يعقد المشهد ويجعله مفتوحاً على السيناريوهات كافة. الهجوم على بورتسودان زعزع ما تبقى من توازن هش في الحرب، فالقوات المسلحة، التي تحتفظ بتفوق في الأسلحة التقليدية، تواجه الآن خصماً يحسن توظيف التكنولوجيا والمباغطة والقاعدة تقول «من يملك السماء لا يحتاج للوجود على الأرض» وهذه الحقيقة تفتح الباب أمام «تكافؤ غير متماثل»، حيث تصبح المسيّرات أداة ردع ومناورة سياسية بامتياز. لكن هذا لا يعني بالضرورة أن الدعم السريع في طريقه لحسم المعركة، فالمشهد يميل نحو حرب استنزاف طويلة الأمد، تعمّق الانقسام الجغرافي، وتدفع السودان نحو سيناريوهات الانهيار أو التفتت.

في ظل هذا التصعيد، تصبح محادثات السلام أبعد من أي وقت مضى، فالدعم السريع في موقع المنتصر معنوياً - حتى الآن - والجيش في حالة دفاع مضطرب، محملاً بأثقال أخلاقية تلزمه بتأمين حياة ملايين الناس الذين اختاروه ملاذاً بينما المدنيون غارقون في أتون المجاعة، مع أكثر من 25 مليون سوداني يواجهون انعدام الأمن الغذائي، وتوقف وصول المساعدات بعد استهداف ممراتها عبر بورتسودان.

وبلا شك المعاناة ستضاعف خاصة أن الهجوم على بورتسودان لم يكن ضربة عسكرية فقط، بل خطة ضغط اقتصادي ممنهجة، فالميناء الذي تمر عبره 80% من تجارة السودان شلّ عملياً وتراجع التبادل التجاري، وتضاعفت تكاليف الشحن، وبلغ التضخم 118%، والجنيه فقد 99% من قيمته منذ بداية الحرب، ببساطة، تحولت «ضربة مسيرة» إلى قصف شامل لأساسيات حياة السودانيين المغلوبين على أمرهم والمطالبين طوعاً أو كرهاً بالانحياز لأحد أطراف هذا الصراع الدامي المستمر.

ما يجري في بورتسودان ليس مجرد امتداد للصراع العسكري، بل علامة على تحول في جوهر الحرب السودانية، من صراع على السلطة إلى صراع على وجود الدولة نفسها. ومع تدويل المواجهة ودخول الإقليم كطرف مباشر، يبدو أن السودان لم يعد فقط ساحة حرب داخلية، بل عقدة إقليمية قابلة للانفجار في وجه الإقليم والعالم.

فرغم أن جذور الصراع في السودان داخلية، ناتجة عن تفكك وضعف المؤسسة العسكرية لإهمال الإخوان

المسلمين لها وسعيهم الدؤوب لإضعافها بشتى السبل مثل بناء أجسام عسكرية موازية لها، مما غزى طموحات المغامرين في السلطة والحكم وعملق العديد من الأقزام لتفكر في الوثوب على ظهر القوات المسلحة ليعتزلوا عرش هذه البلاد المبتلاة.

بالعودة إلى الأيام التي سبقت الهجوم الشرس بالمسيرات على العاصمة الإدارية المؤقتة بورتسودان، نشر موقع «سودان تريبيون» يوم الأحد الرابع من مايو خبرًا يقول فيه «أعلن الجيش السوداني، الأحد، عن تدمير طائرة شحن إماراتية وإمداد عسكري لقوات الدعم السريع، كما تحدث عن مقتل عناصر أجنبية خلال قصف طال مطار نيالا بولاية جنوب دارفور». لتتوالى بعدها مؤشرات عديدة معضدة لخبر الموقع عالي المصداقية، إذ نعى الناعون طيارًا جنوب سودانيًا قتل إنه قتل في الهجوم بمطار نيالا، ومن ثم نعى آخرون طيارًا آخر من دولة كينيا أيضًا قتل في الحادثة ذاتها، وبمضاهاة المعلومات المنشورة مع ثلاثة من المصادر العسكرية والمدنية التي نثق بها توصلنا إلى أن الضربة التي حدثت في مطار نيالا في ليل السبت الثالث من مايو كانت فعلاً ضربة موجعة وكبيرة، وتمكنت القوات المسلحة بها من تدمير شحنة أسلحة مهمة، وقتلت عددًا من الأجانب. تقول الروايات غير المسنودة بمصادر ذات مصداقية عالية أن من بينهم إماراتيون، وترجح مصادر أخرى استنادًا على ما تلا ذلك من أحداث أن الضربة تمت بمسيرة تركية من نوع مزودة بصواريخ ذكية من نوع «بيرقدار TB2» (MAM-L ve MAM-C'yi)

وتتميز هذه الصواريخ بحسب مصادرها بالقدرة على إصابة النقطة المستهدفة من بعد ثمانية كيلومترات، وهي تقنية لا تتوفر لسلاح الجو السوداني مما يعني أن ضربة مطار نيالا المحصن تمت إن لم يكن من خارج السودان فبخبرات أجنبية يرجح أنها تركية، تلك الضربة الموجعة دفعت حلفاء الدعم السريع إلى رد انتقامي استهدف في المقام الأول الوجود التركي في بورتسودان المتمركز في قاعدة عثمان دقنة العسكرية، وما يزيد هذه الفرضية رجوحًا هو رصد العديد من المواقع المهتمة بحركة الطيران وصول طائرة إسعاف تركية قادمة من أنقرة مباشرة إلى مطار بورتسودان، ومكوئها لفترة قليلة ومن ثم عودتها من حيث أتت، مما يرجح إجلاءها لمصابين في الهجوم الذي لم يعلن عن وقوع خسائر بشرية فيه رغم إنه يعد الأعنف بالمسيرات منذ بدء الحرب في 15 أبريل 2023م.

نعم، رغم ذلك حتى الآن لا يمكن اختزال الحرب بأنها حرب بالوكالة فقط، بين دولة الإمارات وجمهورية تركيا لأنها ناتجة أيضًا عن فشل داخلي في إدارة

الانتقال السياسي، لكن استمرار وبرز الدعم الخارجي يحولها تدريجيًا إلى صراع إقليمي بأدوات سودانية، مما يعقد الحلول أكثر مما هي معقدة، وكذلك اختزال التدخل فيها على هاتين الدولتين فقط يعتبر أمر مغلًا بما يجري على الأرض، فالطرفان يخوضان الحرب بإمكانات تسليحية وتقنية أكبر منهما بكثير. ومن الواضح أن الجيش بتبنيه للمشروع الذي يسعى إلى تحقيقه الإخوان المسلمون من هذه الحرب ورث تلقائيًا عداوات مرحلة من النظام السابق فهيمنة تيار الإخوان المسلمين على السياسة الخارجية خلال السنوات الماضية أدت إلى تصاعد العداء الإقليمي والدولي تجاه السودان، وبسبب ارتباطاتهم الأيديولوجية وشبكاتهم العابرة للحدود، تبنت الدولة في فترات سابقة مواقف أثارت قلق عدد من الدول، خاصة في الإقليم العربي، مما أسهم في عزل السودان دبلوماسيًا وتوتر علاقاته مع محيطه. ومع اندلاع الحرب الحالية، عاد التيار الإسلامي ليتصدر المشهد العسكري والسياسي تحت شعارات «تحرير الدولة من عرب الشتات» و«الحرب المقدسة»، وهو ما زاد من المخاوف الإقليمية والدولية من انزلاق السودان مجددًا إلى مشروع أيديولوجي يهدد استقرار المنطقة، فعوضًا عن تقديم خطاب جامع يعبر عن تطلعات السودانيين، بات الخطاب المتداول للحرب ذو طابع إقصائي وتحريضي، هذا الواقع يعزز من الانطباع بأن السودان بات رهينة لمشروع سياسي ضيق، وهو ما يدفع كثيرًا من الأطراف الإقليمية والدولية إلى الحذر وربما التورط بدعم قوى مناوئ، وحتى تلك التي يبدو لديها حرص على مؤسسات الدولة التقليدية وفق تقديرات أجهزتها الاستخبارية، جعلها تقدم رجالًا وتؤخر الثانية في دعم القوات المسلحة، ولعل أبرز مثال على ذلك أن جميع تلك الدول أحجمت عن المساهمة في إطفاء حرائق بورتسودان، وتسلبت هذه الحادثة العزلة التي تعانيها القوات المسلحة السودانية وحكومة بورتسودان، والثمن الذي ينتظر أن تدفعه حال إصرارها على ربط مصيرها بهذا التنظيم المرفوض محليًا وإقليميًا ودوليًا.

تلك العزلة دفعت الأخيرة للاتجاه إلى دول تُعد في عرف المجتمع الدولي مارقة لاستجلاب الدعم العسكري واللوجستي مثل إيران، وبعض تسريبات غرف تنظيم الإخوان تتحدث عن كوريا الشمالية، وهذا ان حدث بلا شك سيحكم العزلة المضروبة الآن على الجيش السوداني، وسيدفع ثمنًا باهظًا، حيث باتت أقلام مؤثرة في قرار المجتمع الدولي تنتاشه بالفعل، ففي 4 مايو الماضي نشرت صحيفة «جيروزاليم بوست»

الإسرائيلية مقالاً بعنوان «صعود داعش في السودان
والتهديد المحتمل الذي يشكله على إسرائيل»
(ISIS rising in Sudan and the potential threat it poses)

(to Israel)

حيث ورد فيه نصاً «لم يعد السودان مجرد ساحة
معركة. إنه يتحول بسرعة إلى مركز إرهابي، يتمتع
بموقع إستراتيجي بالقرب من الجناح الجنوبي
لإسرائيل والممرات البحرية الحيوية في البحر الأحمر».

يمكنك قراءة المقال الكامل عبر الرابط التالي:

<https://www.jpost.com/opinion/article-852544>

يستعرض المقال مخاوف إسرائيلية من تنامي
النفوذ الإيراني في السودان، بما في ذلك استخدام
ميناء بورتسودان كنقطة لوجستية لتسليح وكلاء
إيران في إفريقيا، ويشير إلى أن هذا التطور قد يعيد
رسم خريطة التهديدات الأمنية لإسرائيل من الجهة
الجنوبية.

وسبق صحيفة «جيزواليم بوست» موقع
«كونسورتيوم نيوز»، المتخصص في التحليلات
السياسية، الذي نشر مقالاً للكاتب روبرت إنلاكيش في
21 أبريل الماضي يقول فيه تغلغل إيران في السودان
«زاد من المخاوف بشأن تنامي نفوذها هناك، لا سيما
من جانب أبو ظبي وتل أبيب».

وأشار الكاتب إلى أن من أبرز مخاوف إسرائيل
أن يصبح السودان مجدداً مركزاً لنقل الأسلحة من
الحرس الثوري الإيراني إلى جماعات مثل حماس
وحزب الله، خاصة أن السودان كان في الماضي، بمثابة
ممر لنقل الأسلحة إلى حماس».

يمكنك مطالعة المقال كاملاً على الرابط أدناه

[https://consortiumnews.com/2025/04/21/israel-on-both-sides-of-sudan-civil-war-now-faces-](https://consortiumnews.com/2025/04/21/israel-on-both-sides-of-sudan-civil-war-now-faces-iran/?utm_source=chatgpt.com)

[iran/?utm_source=chatgpt.com](https://consortiumnews.com/2025/04/21/israel-on-both-sides-of-sudan-civil-war-now-faces-iran/?utm_source=chatgpt.com)

وبالنظر إلى أن حماس تلفظ أنفاسها في غزة
وتحتاج إلى أنبوب تغذية ينقذها من الموت،
وبالتطورات الأخيرة في لبنان وسوريا يصبح السودان
الذي صعد فيه تنظيم الإخوان للمشهد مرة أخرى
هو الأقرب لتوفير هذا الأنبوب، وهو ما جعل الدول
التي تتخذ موقفاً سلبياً من الجيش أو تلتزم الحياد
في هذه الحرب أكثر بكثير من تلك التي تساند طرفاً
على الآخر، فالدعم السريع رغم محاولاته المستميتة
لتسويق نفسه كقوة نائبة تسعى لإحلال الديمقراطية
وتقبل بالحكم المدني القائم على العلمانية لم يجد
سوقاً لتلك البضاعة لأنه مثقل بخطايا الماضي فالدول
— سواء الإقليمية أو الغربية — لا ترغب في أن يكون
الدعم السريع بديلاً للجيش السوداني لعدة أسباب
إستراتيجية وأمنية، أبرزها فقدان الاحتكار الشرعي
للقوة، فالدول عادةً تدعم وجود جيش وطني موحد

لأنه يمثل الدولة، ويتمتع بشرعية دستورية ويخضع
للمساءلة نسبياً. أما قوات مثل الدعم السريع، فتنتهي
إلى نموذج «المليشيا»، وهو ما يعني ضعف السيطرة
المركزية مما يعني صعوبة التنبؤ بالقرارات والمواقف
التي يمكن أن تتخذها قيادته وارتفاع احتمالية
الانقلاط الأمني أو التصرفات خارج القانون الدولي.
كذلك ارتباط هذه القوات بتقارير واسعة حول
ارتكاب انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان في دارفور،
الخرطوم، وغيرها جعل دعمهم كبديل للجيش يعطي
إشارة سلبية ويحرج الدول أمام شعوبها ومنظماتها
الحقوقية، كذلك تخشى العديد من الدول رغم موقفها
من القوات المسلحة من سيطرة قوة مثل الدعم السريع،
على بلد بحجم السودان، لأنها قد تصبح نموذجاً
ملهماً للمليشيات مشابهة في أفريقيا والشرق الأوسط،
ما يهدد أنظمة قائمة ويشجع على عسكرة السياسة.
إذا الانقسام الدولي والإقليمي حيال الحرب في
السودان قد يطول وسيطول معه أمم الحرب، وستشهد
ساحة المعركة تبعاً لذلك صعوداً وهبوطاً، وستتقاطع
مصالح العديد من اللاعبين الدوليين على أجساد
الفقراء المتعبين من أهل السودان ما لم تنهض القوات
المسلحة بدورها ويبر ضباطها بقسمهم الذي أدوه
عند التخرج، وتنقي ثوبها من دنس منسوبي النظام
السابق، وهو إلى الآن احتمال ضعيف للغاية في ظل
القيادة الحالية على الأقل.

ومن كل ذلك نخلص إلى القول بالضرورة التصعيد
غالباً ما يعرقل محادثات السلام، إلا أنه يمكن في
بعض الأحيان، وبشكل متناقض، أن يخلق ظروفًا
لـ«طريق مسدود مؤلم» حيث يدرك كلا الجانبين أنهما
لا يستطيعان تحقيق نصر صريح وتصبح تكاليف
استمرار القتال لا تطاق، مما يجعلهما أكثر استعدادًا
للتفاوض. ومع ذلك، قد لا يكون السودان قد وصل
إلى هذه النقطة، أو قد يكون الدعم الخارجي يمنع
ذلك. فهجمات قوات الدعم السريع على بورتسودان
تمثل تصعيداً كبيراً وتُظهر قدرات جديدة، وتعرض
القوات المسلحة السودانية لضغوط متزايدة، لكنها
تتعهد بمواصلة القتال. وتستمر الدعوات الدولية
للسلام، لكن النفوذ يبدو محدوداً. ومع ذلك، إذا اعتقد
كلا الجانبين (وداعموهما) أنهما لا يزالان قادرين
على كسب المزيد عسكرياً، أو إذا لم يكن «الآلم»
كافياً بعد، فمن المرجح أن يستمر التصعيد. ويبدو
أن الوضع الحالي هو وضع يتزايد فيه الألم، ولكنه
ليس بعد طريقاً مسدوداً معترفاً به من الطرفين
حيث تكون المحادثات هي الخيار الوحيد القابل
للتطبيق، لذا الحرب في شكلها الجديد المدعوم علناً
بأطراف خارجية هي النسخة الثانية التي ينتظر منا
معايشتها خلال الفترة المقبلة.

مقتل الككلي

نهاية زعيم الميليشيات تهدد
بإشعال حرب طرابلس من جديد



يعالج التقرير التحول
الخطير في حياة الككلي
من تاجر مخدرات إلى قائد
مليشيا، حيث استغل فراغ
السلطة بعد سقوط القذافي
لبناء إمبراطورية إجرامية
تحت غطاء ديني.

ملخص

يبرز التقرير أن مقتل
الككلي الغامض أدخل
العاصمة في حالة من
الفوضى، مع إخلاء مطار
معيتيقة واشتباكات بين
المليشيات المتنافسة على
وراثته نفوذه.

من وجهة نظر التقرير
فإن الككلي نجح في فرض
سيطرته على مناطق
استراتيجية في طرابلس،
مستخدمًا أساليب عنفية مثل
التطهير العرقي ضد قبيلة
الزنتان وإنشاء سجون سرية.

يخلص التقرير إلى أن الميليشيات فقدت أحد أهم رموزها، مما يهدد بموجة عنف جديدة
ويضعف حكومة الوفاق التي اعتمدت عليه كأحد أذرعها الأمنية غير الرسمية.

استفهامات عالقة

كيف تحول تاجر مخدرات إلى قائد مليشيا؟
ما حجم النفوذ الذي كان يتمتع به الككلي؟
لماذا يشكل مقتله تهديداً للأمن في طرابلس؟
ما هي تداعيات مقتله على حكومة الوفاق؟

طرابلس - افق جديد

أرقام ووقائع

14 عاماً قضاها الككلي في السجن
حي أبو سليم (مركز نفوذه الرئيسي)
مطار معيتيقة تم إخلاؤه تحسباً للاشتباكات

على حفظ الأمن في هذه المنطقة.
وشاركت ميليشيا غنيوة في طرد مسلحي مصراتة
من غرغور، وشاركت مع منظومة فجر ليبيا في طرد
الصواعق والققعاق بالتعاون مع مصراتة وبعض
الكثائب في طرابلس وقامت المجموعات التابعة له
بطرده السكان المنحدرين من قبيلة الزنتان وحرقت
منازلهم وأقحمت مدينة ككله في الحرب.
كما تورط الككلي في تصفية عدد من خصومه
وتمكن من أن يتحول إلى رقم صعب في العاصمة
بالاعتماد على بندق مسلحيه وبسيطرته على أكبر
حي شعبي بطرابلس وهو حي بوسليم، كما عرف
عنه القدرة على اللعب على موازين القوى وتقربه
من عبد الرؤوف كاره حيث يتميز الرجلان باستغلال
جبة الدين لتحقيق أهدافهما في مد نفوذهما الأمني
والعسكري.

ونصبت حكومة الوفاق الوطني المحسوبة على
الاخوان المسلمين الككلي رئيساً لما يسمى جهاز دعم
الاستقرار حتى أصبح أحد أعمدة السلطة الموازية
في طرابلس، وفرض نفوذه في مناطق استراتيجية
مثل أبو سليم والهضبة.

ومنذ مقتله الغامض عشية الإثنين دخلت العاصمة
الليبية طرابلس في مواجهات عنيفة بين الميليشيات
المتنافسة على النفوذ في العاصمة الليبية.

وتداولت مواقع التواصل الاجتماعي مقاطع
فيديو وصور يُزعم أنها توثق تصفية الككلي
ومرافقيه داخل المعسكر، ما يعزز المخاوف من اتساع
المواجهات، خصوصاً في الأحياء المكتظة بالسكان.
وفي تطور لاحق شهد مطار معيتيقة عمليات
إخلاء للطائرات المتواجدة فيه ونقلها إلى مطارات
مصراتة وبنغازي، خوفاً من اندلاع اشتباكات
مسلحة في محيط المطار بعد مقتل الككلي وانفلات
الوضع الأمني.

ويُعد مقتل الككلي ضربة قوية لحكومة الوحدة
الوطنية -مقرها طرابلس- التي اعتمدت عليه طويلاً
كأحد أدوات الضبط الأمني غير الرسمية.

في تطور خطير أعاد العاصمة الليبية إلى أجواء
المواجهات المسلحة الواسعة، قتل، مساء الإثنين،
رئيس جهاز دعم الاستقرار عبد الغني الككلي،
المعروف بـ«غنيوة»، في ظروف لا تزال غامضة..
ويعتبر قائد ميليشيا جهاز الدعم والاستقرار عبد
الغني الككلي، المعروف بـ«غنيوة»، أحد أكثر قادة
الميليشيات نفوذاً في العاصمة الليبية طرابلس،
حيث إنه أحد أبرز أذرع ميليشيا حكومة الوفاق،
ومن زعيم الجماعة الليبية المقاتلة الحكيم عبد
بلحاج.

وغنيوة من مواليد مدينة بنغازي، وانتقل إلى
طرابلس برفقة عائلته وهو صغير، وانقطع عن
الدراسة باكراً، وعمل في صغره مع أبيه في مخبز
النصر في حي أبو سليم الشهير في طرابلس، قبل
أن يلج عالم الانحراف وهو مراهق من خلال علاقاته
بعضابات بيع المخدرات والخمور المهربة. وفي
إحدى الليالي حدثت مشادة بينه وآخرين نتج عنها
جريمة قتل أدين فيها غنيوة، وحكم عليه بالسجن
14 عاماً، وخرج من السجن عقب سقوط نظام
القذافي حيث التقى في السجن بمجموعات الجماعة
الإسلامية المقاتلة وتأثر بهم.

وبعد الإطاحة بنظام القذافي، استغل غنيوة
الوضع -كبلطجي معروف وسجين جنائي سابق
ومسجل خطر- لتكوين مجلس عسكري وكان هو
رئيسه وادعى أنه سيحارب الفساد وتجارة المخدرات.
وأسس سجناً يشرف عليه بنفسه ويرمي فيه
من شاء من أبناء المنطقة وكل من يقع تحت يد
ميليشيات الككلي، وقد تظاهر لتحقيق ذلك بالتدين
والإقتداء بالسلف الصالح.

وبانت ميليشيا «الأمن المركزي»، إحدى أهم
المجموعات المسلحة في العاصمة طرابلس وعنصرها
مهما في المعادلة الأمنية والعسكرية غرب ليبيا،
وتتمركز في حي أبو سليم الذي يعد مركزاً للإجرام
وتجارة المخدرات والخمور، حيث تدّعي أنها تعمل



كيف تدار الدولة..؟!

وائل محجوب

يقرأ الكاتب الارتباك الكبير في مؤسسات الدولة السودانية، ونقص الخبرات في التعامل مع القضايا الدولية، مستشهداً برفض شكوى ضد الإمارات وقرار إعلانها دولة عدوان بشكل غير دستوري.

ملخص

انهيار قرار قطع العلاقات مع الإمارات، بحسب الكاتب، باستمرار تصدير المعادن وعمل القنصلية، يظهر حالة الفوضى والتفكك في القرار التنفيذي والسياسي للدولة السودانية.

يرى الكاتب أن هذين الحدثين يكشفان عن ضعف قانوني ومعرفي لدى من يديرون الشأن العام، حيث تم اتخاذ قرارات دون دراسة كافية لتبعاتها القانونية واختصاصات المؤسسات المختلفة.

هذه الفوضى نتيجة حتمية لانقلاب 2021 وحرب 2023، حسبما منظور الكتابة، مما أدى لغياب حكومة ذات خبرة، وتدني كفاءة الإدارة، وهو ما يستدعي معرفة من يدير الدولة حالياً.



● حدثان وقعا الأسبوع الماضي يكشفان عن ارتباك كبير على مستوى مؤسسات الدولة، ونقص في الخبرات في التعامل مع القضايا الدولية، الأول هو رد محكمة العدل الدولية على شكوى حكومة بورتسودان ضد دولة الإمارات، التي تم رفضها لعدم اختصاص المحكمة.

● وهو رد قانوني كافٍ للطعن في كفاءة ومعرفة من تصدوا للجانب القانوني في هذه الدعوى، سواء من الجهات الرسمية أو الجهات القانونية الخارجية التي تم التعاقد معها لتولي القضية.

● كان واضحاً ما أن خرجت هذه القضية للعلن أنها لن تحقق أهدافها، وكتب عدد من القانونيين المرموقين عن ذلك الأمر عبر مختلف المنابر، وتناولوا حيثيات الدعوى واختصاصات المحكمة، بل أن بعضهم توقع رفض الدعوى لعدم الاختصاص، وهو ذات ما حمله قرار المحكمة.

● الحدث الثاني هو قرار مجلس الأمن والدفاع بإعلان الإمارات دولة عدوان، وقطع العلاقات الدبلوماسية معها، وكان ذلك أمراً غريباً، إذ أن المجلس لا يملك هذه السلطة، وهي حق أصيل لمجلس السيادة بموجب الوثيقة الدستورية، حيث نصت المادة 12 (ط) المتعلقة باختصاصات مجلس السيادة على:

«إعلان الحرب بناء على توصية من مجلس الأمن والدفاع الذي يتكون من مجلس السيادة، رئيس الوزراء، وزير الداخلية، وزير الدفاع، وزير الخارجية، وزير العدل، وزير المالية، القائد العام للقوات المسلحة، النائب العام، المدير العام لجهاز المخابرات العامة، على أن يصادق عليه المجلس التشريعي الانتقالي خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ الإعلان، وإذا لم

يكن المجلس منعقدًا يدعى لجلسة طارئة».

● وقد حددت الوثيقة من قبل عبر موادها، أنه في حالة عدم تشكيل المجلس التشريعي فإن سلطته تؤول لاجتماع مجلسي السيادة والوزراء المشترك، وهو الذي يقوم مقامه في اعتماد القرارات والقوانين ذات الصلة، فلماذا لم يعرض هذا القرار على اجتماع المجلسين قبل إعلانه؟ ولماذا لم يصدر من قبل مجلس السيادة وفق ما نصت عليه الوثيقة الدستورية؟ ولماذا لم يعلق عليه رئيس مجلس السيادة الذي أصدر تصريحاً تالياً لإعلان القرار؟!

● لقد انهار هذا القرار قبل أن يمر أسبوع واحد على إعلانه، إذ خرج وزير المعادن مصرحاً بأن وزارته لم توقف صادرات السودان من المعادن للإمارات، بينما اضطرت وزارة الخارجية لإعلان مواصلة قنصليتها في أبو ظبي في ممارسة أعمالها لتقديم خدماتها للمواطنين، فما الذي تبقى من إعلان مجلس الأمن والدفاع، علماً بأن الإمارات المعنية بالقرار رفضت الاعتراف به.

● إن هذه الفوضى الضاربة بأطنابها تكشف عن الوضعية التي آل إليها جهاز الدولة، كنتيجة حتمية لانقلاب 25 أكتوبر 2021م، وقد جاءت الحرب في أبريل 2023م لتكمل ما تبقى، في ظل غياب كامل لحكومة معترف بها داخلياً وخارجياً، وذات معرفة وخبرة بشؤون الدولة، وكنتيجة منطقية لحالة التفكك الكاملة في القرار التنفيذي والسياسي للدولة، وهي حالة تخسر أكبر القضايا بسبب انعدام الخبرة والمعرفة، وتدني كفاءة من يديرون الأمور، وترتد نتائجها وبالأعلى على كل أهل البلاد، وهي حالة تستوجب معرفة من يخطط ويدبر ويدير الدولة حالياً.

خالد عمر يوسف لـ «أفق جديد»: 1-2

المؤتمر الوطني العائق الأكبر أمام السلام



صمود خطوة إلى الأمام
لكنها ليست سدرية منتهانا

◀ نطالب بحظر شامل للسلاح يوقف النزيف كلياً

◀ سودان المستقبل يجب أن تنتهي فيه مسألة تعدد الجيوش

◀ قوى النظام البائد تريد أن تستخدم الحرب كسلم لتصفير
العداد والعودة إلى ما قبل ديسمبر

بينما تستمر دوامة الحرب في السودان لعامها الثاني، تتعمق المأساة الإنسانية يوماً بعد يوم. في هذا الحوار الخاص مع «أفق جديد»، يكشف خالد عمر يوسف، القيادي في «صمود»، وزير شؤون الرئاسة في حكومة حمدوك السابقة، في هذا الجزء من الحوار عن رؤيته للخروج من الحرب التي يقول إن «المواطن هو الخاسر الأكبر فيها». ويستعرض يوسف في هذا الحوار الشامل رؤيته لـ«سودان المستقبل» الذي يجب أن «تنتهي فيه مسألة تعدد الجيوش كلياً»، كما يشرح تقييمه للدور المصري الذي يصفه بـ«المطلوب» لإنهاء الحرب. هذا الحوار يأتي في وقت تشتد فيه المعاناة الإنسانية، بينما تتصاعد التساؤلات حول إمكانية وقف هذه الحرب التي حولت السودان إلى ساحة لصراعات إقليمية ودولية.

الدور المصري للمساهمة في إنهاء الحرب مطلوب

انعقاد جديدة.. كيف تقيمون دعوة القاهرة للالتئام وما مدى تفاؤلكم بها؟

مصر دولة مهمة وعلاقتها مع السودان عميقة واستراتيجية والدور المصري للمساهمة في إنهاء الحرب مطلوب، لذلك من هذا المدخل ظللنا متفحّين وإيجابيين في تعاملنا مع مصر، واجتماع القاهرة الأول بالفعل كان واحدة من المحاولات القليلة التي نجحت في جمع شتات مجموعات سودانية مدنية مختلفة ومتباينة في الرأي، نحن شاركنا وساهمنا إيجاباً في إنجاحه، بالتالي أي دور لأشقائنا في مصر للمساهمة في إيقاف الحرب سيجد ترحيباً من قبلنا. نحن نعتقد أن الحل في الأساس هو سوداني ويتطلب إرادة من السودانيين أنفسهم ويتطلب ملكية منهم لعملية الحوار، والدور الإقليمي والدولي هو دور مساعد، وبالتالي أي دور مساعد في اتجاه إيجابي سيكون محل تقديرنا.

أين وصلت خطواتكم العملية وجهود تكوين الجبهة المدنية الموحدة؟

منذ بداية الحرب نحن وضعنا أولوية لمسألة تجميع الصف المدني المناهض للحرب، واضعين في الاعتبار أنها مهمة غير سهلة لإنهاء الحرب والتي طبيعتها تقسيم المجتمعات وزيادة الشقة بينها، ومع استمرار الحرب الناس تتخذ مواقف منحازة لأي طرف من أطراف الحرب لأسباب عديدة منها الأثر المباشر على حياة الناس، لذلك موضوع تجميع

توسع في الجبهات، وتكنولوجيا جديدة في صراع قديم.. بداية، كيف تقرأ المشهد الحالي في السودان بعد عامين، وهل فات الأوان لإيقاف الحرب؟

الحرب الآن دخلت مرحلة جديدة وشكل جديد، لكن الثابت على مدار العامين السابقين أنه من الصعوبة بمكان حلها عسكرياً، والضحية الرئيسية لتلك الحرب هي المواطن. منذ بداية الحرب ذاق السودانيون مختلف أنواع العذاب من قتل وتشريد وضنك في العيش ولجوء ونزوح وغيرها من المعاناة والجرائم الجنسية ضد النساء، وعلى كل حال الخاسر الأكبر هو المواطن. أيضاً الثابت في الحرب أنها تدمر في السودان الذي يعاني تحديات اقتصادية وتنموية، الآن تفاقم بفعل الحرب التي دمرت البنية التحتية واهدرت مواردها. فعلياً الآن على عكس ما حاول دعاة الحرب الترويج أن الحرب تقترب من نهايتها، لكنها تتعمق يوماً لأسباب واضحة أولها الانقسام الداخلي العميق بين السودانيين أنفسهم، والانقسام هذا هو البوابة لدخول أي دور خارجي، والانقسام الداخلي بدأ في أخذ أبعاد جهوية وأثنية وتتصاعد في خطاب الكراهية وهذا سيشكل خطراً على مستقبل السودان، لذلك نحن نعتقد أنه لم يفت الأوان حتى الآن لعكس الاتجاه صوب صوت العقل والحكمة، وأن يختار السودانيون الجلوس إلى بعضهم البعض لإيجاد مخرج لوقف نزيف الدماء.

أدوار إقليمية متباينة وحضور خارجي كبير في الخارطة السودانية، مع رغبة مصرية في طائلة



ليس لدينا شكل تنظيمي يتحول إلى صنم يُعبد

الناس تحت مظلة واحدة، لذلك هناك ثلاثة أشكال للعمل بين القوى المدنية الديمقراطية المناهضة للحرب، الشكل الأول هو شكل التحالف مع بعضنا البعض تحت مظلة واحدة، والشكل الثاني هي شكل التنسيق في بعض القضايا، والشكل الثالث هو شكل التكامل، وحتى إذا الناس لم تتفق وترغب في العمل تحت منصة واحدة ممكن كل جهة تعمل من خلال منصتها المستقلة والاتجاه نحو ذات الهدف بدون حدوث تشويش حول الأولويات وهي التباين في الرؤى لبعض المدنيين أم الأولوية لوقف الحرب، من هذا المنطلق المرن نحن نتحرك في ثلاثة مسارات جادة لتوسيع قاعدة التفاهات المدنية حول إيجاد رؤية لوقف الحرب، وهذا لا ينسينا وجود مدنيين أخذوا مواقف مع الجيش أو مع الدعم السريع، نعتقد أن هناك مسار وهو مسار المائدة المستديرة لإيجاد حوار للاتفاق حول أسس ومبادئ إنهاء الحرب. العائق الأساسي حقيقة للوصول إلى السلام هو حزب المؤتمر الوطني الذي يريد استخدام الحرب لإعادة سلطته على السودان وهو الجهة الرئيسية المستفيدة من إطالة أمد الحرب. لذلك كل القوى الراغبة في السلام لا بد أن تواجه مخططات النظام البائد التي تحاول إطالة أمد الحرب وتقسيم السودان وهو خط مدمر لمستقبل السودان.

على عكس وجهتك ورغبتكم في تشكيل كتلة مدنية مناوئة للحرب، يقرأ البعض في أشكال تحالفاتكم كما لو أنها ردة عن الكيان المدني الكبير، وصمود ربما كانت تمثل الطور الأخير في تضعف

الجبهة المدنية صعوبته الرئيسية كأنك ما تسبح عكس التيار، وهو تيار جارف لتقسيم البلاد وتقسيم الناس بين القوتين المسلحتين، لذلك أنت تقاوم في ذلك التيار لخلق منصة أو رؤية تجمع أكبر قطاع من المدنيين ضد الحرب نفسها، ومن التحديات التي واجهت الناس أن تلك الحرب أن القوى الرئيسية فيها هي قوى النظام البائد التي تريد أن تستخدم الحرب كسلم لتصفير العداد و العودة إلى ما قبل عهد ثورة ديسمبر، وتلك القوى استخدمت آلية الكذب والتضليل ونشر المعلومات المغلوطة للتشويش على الناس حول مجهود القوى المناهضة للحرب، لكن رغم كل تلك التحديات أنا أعتقد أن مجهودات تجميع الجبهة المدنية حصل حولها خطوات إلى الأمام عكس الاتجاه الآخر. عندما ترى تكوين تحالف «صمود» الآن تجدها أكثر اتساعا من تحالف الحرية والتغيير التي كانت تضم مجموعات مهنية وحزبية وسياسية، «صمود» الآن تضم مجموعات ومهنية أوسع من المجموعات المهنية التي كانت موجودة في «الحرية والتغيير»، وتضم مجموعات في المجتمع المدني أوسع من المجموعات المهنية التي كانت موجودة في الحرية والتغيير وتضم لجان المقاومة التي كانت مفقودة في التحالفات السياسية السابقة. بالتالي صمود هي خطوة إلى الأمام ولكن ليست سذرة منتهانا، ونعتقد أنه في المجال المدني المناهض للحرب توجد قوى أخرى اختارت مواقف مختلفة غير تحالف «صمود»، ونحن وجهتنا أصلا غاية في المرونة ولا نعتقد إمكانية توحيد كل

الكيان الموحد.. منذ انقسام الحرية والتغيير وخروج الشيوعي والبعث وغيرهم، مروراً بانقسامات تقدم والآن صمود كحلقة أخيرة..

صحيح هناك بعض القوى كانت موجودة داخل تحالف «الحرية والتغيير» ومؤسسة لها وأساسية كحزب البعث الأصل والحزب الشيوعي وهي الآن خارج تحالف «صمود»، لكن كما ذكرت هناك مجموعات مؤثرة ومهمة وفاعلة ومؤثرة ليست جزء من «الحرية والتغيير» وهي الآن جزء من «صمود» مثل لجان المقاومة والنقابات والمهنيين ومجموعات رئيسية في المجتمع المدني، بالتالي المكونات في «صمود» أكثر تنوعاً لأنها تشمل مجموعات مميزة ونوعية لم تكن جزء من «الحرية والتغيير» وأيضاً الفئات النوعية وعلى رأسها مجموعة «تضامن» التي تضم أكثر من 1500 من العسكريين المتقاعدين ومجموعات المزارعين وأصحاب الأعمال وهي كل مجموعات ليست ضمن التكوين القديم للحرية والتغيير وهي الآن ضمن تحالف «صمود» في الموقف المناهض للحرب. كما أن هنالك خطوات مهمة تمت في العمل من أجل توسيع

وبناء الجبهة المدنية مع قوى رئيسية مثل حركة تحرير

السودان - قيادة عبد

الواحد وحزب البعث

الأصل. ليس لدينا

شكل تنظيمي

يتحول إلى صنم

يُعبد، كل الصيغ

مرنة ومنفتحة،

اليوم «صمود»

وغدا شيء آخر،

المهم الماضي قدما

في توسيع الجبهة

المدنية أو شكل

تنظيمي من الأشكال

التنظيمية الأخرى طالما

اتفقنا على الآليات. في

هذا السياق لدينا

صيح

مختلفة من العمل والاتفاق والتنسيق حول رؤى محددة ومن ضمن الصيغ هذه بكل تأكيد هي صيغ العمل. والتواصل مع المؤتمر الشعبي لم ينقطع منذ بداية الحرب وفي اجتماع الاتحاد الأفريقي في شهر أغسطس الماضي شاركنا مع بعض البعض وتقدمنا نحن «تقدم» مع المؤتمر الشعبي والاتحادي الأصل برؤية مشتركة للاتحاد الأفريقي وقعنا عليها سوياً، بالتالي هناك اتفاق حول الرؤية لتصميم العملية السياسية.

هل تتسع رؤيتكم للجبهة الموحدة لاستيعاب الإسلاميين؟

نحن نفرق بين الإسلاميين وبين المؤتمر الوطني، الأخير لا يعبر عن جميع الإسلاميين، هناك مجموعات من الإسلاميين مناهضة للحرب، وليس لديها مصلحة إطلاقاً في استمرارها وبكل تأكيد مكانها الأصل تعمل جنباً إلى جنب مع بقية القوى المدنية التي تسعى لإيقاف الحرب، لكن المؤتمر الوطني أشعل الحرب، ولم يكتفي بذلك وأي محاولة لإيقافها عمل لتدميرها باعترافهم وألسنتهم صرحوا بذلك، كما صرحوا بأن محاولة للحل ستدمر. المجموعة الأكثر نشاطاً ليس شرطها إيجاد حوار لإيقاف الحرب، بل لا تريد حواراً مع الإسلاميين الآخرين وأصدروا بياناً حول ذلك، بالتالي المؤتمر الوطني هو عائق أساسي أمام الوصول لإنهاء الحرب ومواجهته، والمنطلق الأساسي هو كيفية أن يتغلب الناس على هذا العائق للوصول إلى إيقاف الحرب، لذلك مواجهتهم وتحميلهم مسؤولية الحرب وعزلهم وفضح دورهم ميسر للوصول لإنهاء الحرب وهذا هو موقفنا تجاههم، ولا نعتقد أن الحوار مع المؤتمر الوطني هو الذي ينهي الحرب، ونعتقد أن مواجهتهم سياسياً هي التي ستنتهي الحرب. أو هناك شيئين مختلفين وهي وقف الحرب وإنهاء الحرب، أولاً هناك حاجة عاجلة لوقف النزيف الحالي لأنه في كل يوم تستمر الحرب هناك خسارة في الأرواح والممتلكات، والآن السودانيون مشردين في منافي اللجوء والنزوح المختلفة وتزداد الضغوط عليهم باستمرار الزمن. أيضاً البنية التحتية للبلاد عرضة للتدمير باستمرار الحرب، ولا يمكن إعمار

وقعنا مع المؤتمر الشعبي والاتحادي الأصل على رؤية مشتركة قدمناها للاتحاد الأفريقي

نتساءل حول الاتهامات للقوى المدنية بانحيازها
لأحد طرفي الصراع، كيف يمكن الحفاظ على
استقلالية العمل المدني؟

جزء من المكونات الداعمة للجيش هي كانت
جزء من الحلف المدني الموسع، وجزء من المكونات
الداعمة لقوات الدعم السريع كانت جزء من الحلف
المدني الموسع، ونحن تبائنا مع الجهتين نعتقد أن
انحياز القوى المدنية لأي من طرفي القتال يزيد من
الاستقطاب ويطيل أمد الحرب، لذلك دعوانا المستمرة
للقوى المدنية يجب أن تحافظ على استقلاليتهما من
الطرفين المتقاتلين ومن موقعها المستقل عليها أن
تطرح رؤية للتواصل مع الطرفين المتقاتلين، لكن
لدينا مع تلك القوى في هذا الجانب أو ذاك علاقات
وحوارات قديمة ونقاشنا معهم غير منقطعة إطلاقاً
لذلك طرحنا موضوع المائدة المستديرة لجمع القوى
الديمقراطية غير المنحازة لأي من الطرفين مع القوى
المنخرطة في معسكر الجيش والقوى التي في معسكر
الدعم السريع عدا المؤتمر الوطني لوضع أسس
ومبادئ إنهاء الحرب، وإذا اجتمعت تلك القوى حول
رؤية لإنهاء الحرب وطرحتها لاحقاً على الطرفين
المتقاتلين من الممكن أن تشكل أساساً جيداً للوصول
إلى وقف إطلاق نار وحل سياسي يقود إلى السلام
المستدام.

ما هي الرؤية العملية لوقف الحرب، ما المقاربة
التي تعتمدونها كصيغة للخلاص؟

منذ بداية الحرب لدينا تصور واضح لإيقافها،
وأداة وقف الحرب هي الوصول إلى حل تفاوضي،
الوصول إلى التفاوض نفسه يتم عبر العمل على
ثلاثة مسارات الأول هو المسار المدني وكيفية تجميع

ما دمرته الحرب طالما الحرب مستمرة. وقف نزيف
الحرب ووقف إطلاق النار لازم لعودة الناس إلى
منزلها، وتوصيل المساعدات الإنسانية والإغاثة
 وإعادة إعمار ما دمرته الحرب. وقف الحرب لن
يكتمل أو يستوي إلا برؤية لإنهاء الحرب ونحن
أولينا ذلك اهتمام كبير بالأوراق التي أعدناها
في قضايا مختلفة متعلقة بكيفية الوصول إلى
سلام مستدام سواء كان في مسألة الحكم الفيدرالي
والإصلاح الأمني والعسكري والعدالة الانتقالية،
لأننا نعتقد أن إنهاء الحرب والوصول إلى سلام
مستدام لا يعني الرجوع إلى الماضي لأن الإشكالية
التي كانت موجودة سابقاً هي التي قادتنا أصلاً إلى
الحرب الموجودة حالياً، ولا التعايش مع الحاضر لأنه
بشع، نحن نتحدث إلى التطلع نحو المستقبل وبناء
مستقبل جديد للسودانيين لمعالجة أخطاء الحاضر
والماضي لبناء سلام مستدام، والحرب الحالية تكون
آخر حروب السودان.

كيف يختلف السودان اليوم عما قبل الحرب، ربما
كنا على دراية بالجروح التي خلفتها هذه الحرب،
لكننا بصدد التساؤل حول المستقبل؟

السودان الآن مختلف تماماً عن السودان ما قبل
الحرب؛ صحيح الحرب خلفت جروح وأثار عميقة في
جسده والإشكاليات والأخطاء التي كانت موجودة
قبل اندلاع الحرب هي التي قادت لقيام الحرب
نفسها. إذا أخذنا قضية واحدة فقط مثل قضية تعدد
الجيش في السودان هي قضية موروثية من النظام
السابق، وهؤلاء لم يراعوا في السودان إلا ولا ذمة
دمروا المؤسسة العسكرية وأخترقوها وخلقوا لها
جيوش موازية، والوضع الشائن الذي خلفوه في
المؤسسة العسكرية والأمنية كان واحد من الأسباب
التي قادت لاشتعال الحرب في السودان. السودان
المستقبل يجب أن تنتهي فيه مسألة تعدد الجيوش
كلياً، لا بد من بناء جيش واحد مهني قومي ولا
يمكن التعايش مع وضعية تعدد الجيوش. إذا كانت
وضعية تعدد الجيوش واحدة من الأسباب التي
قادت إلى اندلاع الحرب فإن استمرارها يضاعف من
الجيوش ويجعل المشكلة أكثر تعقيداً، بالتالي كلما
استطال زمن الحرب كلما كان الوضع أكثر تعقيداً
لكننا نعتقد أن السودانيين بدلاً من الغرق في البكاء
على أطلال الماضي أو الاستغراق في قضايا الحاضر
أن يسعوا في تطوير مستقبل أفضل والمساهمة في
تطوير رؤاه عن طريق الحوار وليس البنادق.

يأخذ البعض على مقاربة الحياد التي تقولون
بها كما لو أنها واقعا يخفي تحته انتماء لصف ما..

المؤتمر الوطني العائق الأكبر أمام السلام

كلما استطال زمن الحرب كلما كان الوضع أكثر تعقيدا

تواصل مع السعودية والإمارات، بالتالي تجد أنه سواء بالتواصل المباشر أو بالزيارات أو المشاركة في الفعاليات نحن فعليا الجهة التي ليس لديها انحياز لطرف إقليمي، إنما منحازة فقط للشعب السوداني، وتستخدم تواصلها مع كل الأطراف لتوظيفها لهدف واحد فقط وهو وقف الحرب. قيادة صمود موجودة في الإمارات و..

أغلبية قيادات «صمود» موجودة في مصر، وهناك وجود كبير في أوغندا، وأثيوبيا والسعودية والإمارات وقطر لأسباب وظروف مختلفة، لذلك «صمود» ليست منحازة لأي طرف من الأطراف في الإقليم، وبالعكس هي إيجابية تجاه كل الإقليم، وتعتقد أن الوصول إلى سلام دائم في السودان يتطلب التواصل مع كل الإقليم وعدم الدخول في أي علاقة عدائية مع أي طرف من الأطراف وكل تلك الأطراف لديها ما يمكن أن تقدمه من دور إيجابي لإنهاء الحرب وهو المنطلق الذي جعلنا في تواصل مع الكل.

تقارير دولية صحفية وأمنية عديدة تتهم أبو ظبي بتغذية الصراع، استراتيجيتكم في التعامل مع تدفق الأسلحة إلى أطراف النزاع تغض الطرف عن هذه التقارير..

لو استعرضنا التقارير التي أشارت إلى السلاح الذي يصل إلى السودان فهي دائماً ما تغطي السلاح الذي يصل إلى الجيش من دول بعينها والسلاح الذي يصل إلى الدعم السريع من دول بعينها. هل

أوسع جبهة مدنية مناهضة للحرب لأنه يؤدي إلى زيادة الضغوط على طرفي الحرب ونزع المشروعية عن الحرب نفسها وإنتاج رؤية سودان المستقبل. المسار الثاني هو التواصل مع المجتمع الإقليمي والدولي وهي مسألة حذرنا منها مع اندلاع الحرب، لأنه بداية أي دولة تنشب فيها حرب داخلية بين مكوناتها ستفتح الباب لزيادة التدخلات الخارجية من باب المصالح أو المخاوف، وفي كرة تجذب قلق طرف ما بالتالي يفتح باب التدخل الذي يعقد المسألة أكثر، وهناك استقطاب دولي كبير، وطرفي القتال أقرب إلى أطراف إقليمية معينة وفي حالة قطيعة كاملة مع أطراف إقليمية أخرى. القوى المدنية غير المنحازة للطرفين وضعها يجعلها تتواصل مع كافة الأطراف الإقليمية والدولية لأنها غير منحازة لأي طرف عبر حوار يخاطب المخاوف لإنجاز مشروع سلام سوداني لصالح السودانيين ولصالح القوى الإقليمية. المسار الثالث هو التواصل مع طرفي القتال وهو مستمر ولم ينقطع إطلاقاً، طرفي القتال نحن باستمرار سنظل ندين انتهاكاتهم وجرائمهم ورغبة أي منهما في استمرار الحرب وتوظيفها للعودة للسلطة، والمسارات المفتوحة معهم هي حول شيء واحد فقط تتمثل في كيفية وقف الحرب وهو حوار يتقدم مع طرف ويتراجع مع الآخر لكن سنظل سنواصل في هذا المسار لإيقاف الحرب وعودة طرفي الحرب لطاولة التفاوض، ولا ينبغي لنا كسودانيين انتظار المجتمع الدولي في مسألة التفاوض، ولا بد من جهد سوداني للتفاوض وهو ما نعمل عليه. تعاملكم مع الأطراف الإقليمية يلمح البعض فيه انحيازاً لوجهة حربية دون الأخرى؟

خطابنا متوازن تجاه كل الإقليم ودائماً في اتجاه حثه نحو وقف الحرب، لكن أنشطتنا شملت التواصل مع الجميع بأشكال مختلفة «الحرية والتغيير» قامت بزيارة إلى دولة قطر وقابلت رئيس الوزراء القطري وعقدت فعالية هنا. «تقدم» قامت بزيارة إلى مصر بقيادة د. عبد الله حمدوك وقابلت القيادة المصرية. «تقدم» ساهمت مساهمة إيجابية في إنجاح اجتماع القاهرة وكانت من أكثر الأطراف التي ساهمت إيجاباً. «تقدم» عقدت مؤتمرها في العاصمة الأثيوبية أديس أبابا وعلاقتها جيدة للغاية مع الأشقاء الإثيوبيين وعقدت عدداً من الأنشطة في كينيا وأوغندا، ونفذت زيارات مختلفة سواء كان في الغرب في أوروبا وفي بريطانيا وفرنسا وألمانيا وغيرها. وفي أفريقيا كذلك رئيس الوزراء السابق د. عبد الله حمدوك زار دولة جنوب أفريقيا والتقى الرئيس هناك، لدينا

صمود خطوة إلى الأمام لكنها ليست سفرة منتهاها

المؤتمر الوطني أشعل الحرب وأي محاولة لإيقافها عمل لتدميرها

وستكون دوامة مستمرة لن تنتهي، لذلك نعتقد أن المنهج الأوفق هو تجفيف الموارد بصورة كلية، وعدم السماح لأي طرف من الأطراف استيراد السلاح والضغط عليهم للجلوس للتفاوض، طالما نسعى لوقف الحرب من المؤكد سنطالب بذلك الشيء، ولن نحظر على الآخرين الذين يعتقدون بحسم الحرب عسكريا للمطالبة بحظر السلاح على الجهة التي يعادونها والسماح بتوريد السلاح للجهة التي يناصرونها، لكننا نختلف معهم حول المنهج لأننا نعتبره يزيد من معاناة الناس.

شمعة في نفق الحرب المظلم

فازت غرف الطوارئ بجائزة أوروبية مرموقة.. كيف
تقيمون جهود المنظمات المدنية في تخفيف معاناة
السودانيين؟

فوز غرف الطوارئ بجائزة الاتحاد الأوروبي هو تكريم لجهة سدت فراغا كبيرا للسودانيين، كما أن الفرق الطوعية التي عملت في الحقل الصحي مثل «سابا» والمنظمات الأخرى التي وثقت الجرائم المرتكبة بحق السودانيين والمبادرات المهتمة بأوضاع اللاجئين، كلها مبادرات أوضحت إلى أي مدى أن الشعب السوداني قوي وقادر على الاستجابة في أصعب الظروف وابتداع أشكال وصيغ مختلفة. التكريم إشارة قوية للغاية لكل السودانيين بالقدرة على ابتداع الإشراقات التي تأتي من القطاع المدني العريض للتعامل مع الوضع الصعب الحالي.

هاجمنا دول تدعم جهة ما، وسكتنا عن دول تدعم الجهة الأخرى. نحن نرى أن دور القوى المدنية ليس في مهاجمة دول الإقليم وإنما التواصل معها إيجابا ما يؤدي إلى وقف الحرب، وفي تقديرنا سواء الهجوم المتواصل من قيادة الجيش على بعض الدول أو الهجوم المتواصل من قيادة الدعم السريع على بعض الدول، نعتقد أن هذا المنهج مضر وليس مفيد، والمنهج سوى تعقيد الأزمة في السودان لن يفيد في شيء، الصحيح ابتداء حوار بين السودانيين أنفسهم وتحديد رؤيتهم لوقف الحرب، ثانيا حوار بين السودانيين والإقليم ودول الجوار للوصول إلى صيغة سلام. من يتحدثون عن ذلك يوجهون سهام الهجوم على جهات بعينها ويصمتون تماما عن الجهات الأخرى، ونعتقد أن المنهج غير المتوازن ليس في موقف أخلاقي يسمح له بالهجوم على الموقف المتوازن، وعندما تهاجم طرفا واحدا باستمرار وتصمت عن أطراف أخرى فإن هذا لن يرمي إلى وقف الحرب وإنما يرمي لانتصار طرف على طرف آخر، ونحن موقفنا مع وقف الحرب ونتواصل إيجابا مع كافة الأطراف الإقليمية لكن خطابنا واضح في مسألة ضرورة حظر السلاح عن السودان، وهو حديث ذكرناه في بياناتنا ومذكرات معلنة بصور قرار بحظر وتوريد السلاح للسودان وتجفيف موارد دعم الأطراف المتقاتلة بالكامل. لأنه إذا كان هناك سلاح يصل لأي طرف من الأطراف فإنه يغذي الحرب لذلك طالبنا مجلس الأمن الدولي عبر مذكرة قبل جلسة تقديم مشروع القرار البريطاني بتوسيع حظر السلاح ليشمل كل السودان بقرار من مجلس الأمن، وتوسيع دائرة ولاية المحكمة الجنائية الدولية للتحقيق في كل الجرائم بالسودان وتقديم المجرمين إلى سوح العدالة الدولية. عندما يطالب شخص ما بحظر السلاح عن طرف والسماح بتوريده لطرف آخر فهذا يعني أنه لا يريد وقف الحرب بل يريد الانتصار للطرف الذي يؤيده، ونحن نعتقد أن انتصار طرف على الآخر غير ممكن مهما استمرت الحرب لذا نطالب بحظر شامل للسلاح يوقف النزيف كليا ولا يطيل أمد القتال. حتى في الحروب السابقة بالسودان، في وقت من الأوقات الجيش الشعبي الذي يتخذ من جنوب السودان قاعدة لانطلاقته وكان يسيطر على أغلبية جنوب السودان، وحدثت متغيرات إقليمية ودولية وانحصر في مناطق حدودية محدودة، وحدثت متغيرات إقليمية ودولية أخرى وانتشر مرة أخرى، بذات الطريقة طالما الحرب مستمرة ستحدث متغيرات إقليمية ودولية ستحول كفة دعم الإقليم والمجتمع الدولي لأي من الطرفين



حرب إطلاق الحمير

حيدر المكاشفي

ملخص

المقالة تتناول قصة رمزية عن حمار أطلقه الشيطان، ما أشعل حرباً بين جارين بسبب ردود فعل متسلسلة، في تشبيه دقيق للحرب السودانية التي بدأت محدودة ثم امتدت كالنار في الهشيم.

يشهد العالم جهوداً حثيثة لوقف الحروب (كالهدنات في الهند وباكستان وسوريا وغزة)، بينما السودان يغرق في صراع لا يُرى له نهاية، رغم عبثيته وتبعاته المدمرة، وفقاً لما يقول الكاتب.

يرى الكاتب أن الصراع الحالي يشبه «حرب الحمير»، حيث تحول نزاع محلي إلى كارثة وطنية بسبب تصاعد العنف والانتقام، مع تدمير شامل للبنى التحتية والأرواح دون مبرر منطقي.

الحل الوحيد كما يرى الكاتب يكمن في «كبح الحمير» - أي وقف دوامة العنف - لكن غياب الإرادة السياسية والإقليمية يترك البلاد في حرب عبثية، تُذكيها أجندات خارجية ومصالح ذاتية.

تقول الحكاية إن حمارة كان مربوطاً بحبل بشجرة.. جاء الشيطان وفك حبل الحمار وأطلقه.. دخل الحمار مزرعة الجيران، وبدأ يأكل بنهم حتى قضى على أخضر ويابس المزرعة.. لما رأت زوجة المزارع صاحب المزرعة الحمار يقضي على مزرعتهم، عادت إلى البيت وحملت بندقية وقتلت الحمار.. سمع صاحب الحمار صوت إطلاق الرصاص فخرج من بيته يستجلي الأمر، فلما رأى حمارة مقتولاً وأن من قتله هي زوجة جاره صاحب المزرعة استشاط غضباً، ودخل بيته وعاد ببندقيته وأطلق النار على زوجة صاحب المزرعة وأرداها قتيلة.. وعندما عاد صاحب المزرعة من مشوار كان قد ذهب إليه ووجد زوجته مقتولة تسبح في دمائها، وأن من قتلها هو جاره صاحب الحمار، حمل بندقيته وهجم على جاره صاحب الحمار وقتله، وحين رجع ابن صاحب الحمار ووجد أباه مقتولاً، وأن من قتله هو جاره صاحب المزرعة، حمل بندقيته ولم يكتف بقتل صاحب المزرعة وإنما قتل معه ابنه الأكبر.. وعندما بلغ خبر هذه المقتلة أهل صاحب المزرعة، سارعوا لامتناسق أسلحتهم وهجموا هجمة رجل واحد على دار صاحب الحمار وقتلوا من كانوا في الدار جميعاً وأحرقوا كل ما طالته أيديهم.. وفي هجمة مضادة على غرار لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه، حمل أهل صاحب الحمار بنادقهم وكروا على دار صاحب المزرعة وقتلوا من كانوا في الدار جميعاً وأشعلوا فيها النار وأحالوها إلى رماد، وهكذا تطورت هذه المقتلة والمجزرة وظلت دائرتها تتوسع يوماً بعد يوم فشملت كل القرية والقرى المجاورة، ولم يستطع الراوي الإحاطة بالمدى الجغرافي الذي بلغته المقتلة ولا الخسائر في الأرواح والممتلكات الخاصة والعامة من كثرتها.. ولما سُئِلَ الشيطان: ماذا فعلت حتى أشعلت هذه الحرب القذرة العبيثية؟ قال الشيطان وهو يطلق قهقهة عالية: لا شيء... فقط أطلقت الحمار، وأضاف متهكماً: إذا أردت أن تخرب بلداً فأطلق فيها الحمير وما أكثرهم في زماننا وبلدنا هذا..

أليس بربكم تشابه بل تماثل تماماً هذه الحرب الشيطانية في الحكاية أعلاه حربنا الماثلة الآن، إنها بالفعل كذلك من كل الوجوه، فحربنا اللعينة الشيطانية هذه، بدأت في منطقة جغرافية محدودة

ومحصورة في وسط الخرطوم المدينة وليست الولاية، ولكن بسبب الحمير على قول الشيطان ظلت تتوسع وينداح مداها المكاني والجغرافي حتى لم تنجو منها منطقة على امتداد أرض الوطن الشاسعة، وتتعاظم خسائرها في الأرواح والممتلكات الخاصة والعامة يوماً بعد يوم، وتتطور وتنوع أساليبها حتى بلغنا الآن مرحلة حرب الأجواء والمسيرات، وللأسف ما يزال حبل حمير الحرب على الجرار، فقد دخلت الحرب عامها الثالث ولا تزال حميرها مطلوقة تنهق وتبرطع وتفنجن وتفرس وتبل بس، والعجب العجيب أن هذا (البل بس) لم يبيل ويجغم ويمتك ويفتك إلا بالمواطنين العزل الأبرياء وبالأعيان المدنية والبنى التحتية، فعم الانهيار والخراب والدمار كل شيء وعصف بأي شيء، والقليل الذي نجا منها ما يزال تحت الاستهداف، يحدث كل ذلك في حرب إطلاق الحمير المستعرة في بلادنا للعام الثالث، في الوقت الذي سارعت فيه الهند وباكستان لإعلاء صوت العقل والحكمة واتفقتا على وقف إطلاق النار واحتواء الأزمة التي نشبت بينهما مؤخراً، كما تم الاتفاق بين الإدارة الأمريكية والحوثيين على وقف إطلاق النار بالتزامن مع مفاوضات أمريكا مع إيران حول الملف النووي، كما توصلت أيضاً الحكومة الكونغولية وحركة M23 لوقف فوري لإطلاق النار بعد محادثات في الدوحة برعاية قطرية، بالإضافة للجهود الأمريكية والقطرية التي قادت لل تهدئة بين الكونغو ورواندا، إضافة لذلك فقد توصل الرئيس السوري أحمد الشرع لاتفاق السويداء مع الدروز، وسبقه اتفاق مع قوات سوريا الديمقراطية (قسد) التي تنشط في مناطق الأكراد شمال شرقي سوريا. وتتسابق أيضاً الجهود الدولية للوصول لوقف إطلاق نار بين روسيا وأوكرانيا واتفاق في غزة لتوصيل العون الإنساني ولإنهاء الهجوم الإسرائيلي عليها وإطلاق سراح الرهائن والأسرى، وما يتبعها عقب ذلك من خطوات لازمة لإحلال السلام الدائم.. هذا هو المشهد الدولي والإقليمي الماثل الآن والمتجه بعزم وجدية لإحلال السلام وإخماد بؤر الحروب والافتتال والتدمير، بينما ما تزال حربنا مشتعلة براً وجواً وبحراً ولا يلوح في الأفق ما يلجم حميرها ويعيدها إلى مرابطها، ولله الأمر من قبل ومن بعد..

الحرب كخدعة كبرى

تفكيك خطاب الداعمين لاستمرارها
وفضح التواطؤ ضد الثورة

تحليل يناقش خطاب داعمي استمرار الحرب في السودان، الذين يسوقونها كـ «غزو خارجي» لتجريفها من سياقها السياسي والاجتماعي، متجاهلين دور داعميهم الإقليميين في انقلاب 2021.

ملخص

من منظور الكاتب فإن تزيف وعي الجماهير يتم عبر شعار «الجيش والشعب واحد»، بينما يموت المدنيون، وتستخدم الوطنية كغطاء لمصالح الجنرالات والإسلاميين الطبقة.

التحليل يرى أن الخطاب يختزل الصراع، ويبرئ الجيش من ارتباطه بالحركة الإسلامية، ويقلب سرديّة الثورة، ويصور الحرب كخيار دفاعي لا كأداة سياسية لتصفية الانتقال المدني.

يخلص الكاتب إلى أن «الخطاب المتواطئ» يهدف لتبرئة المؤسسة العسكرية وتحويل الصراع السياسي إلى سرديّة عاطفية، مؤكداً أن الحرب هي حرب القوى المضادة للثورة وليست حرب الشعب.

الكاملة على الدولة. ثالثاً: قلب سرديّة الثورة

يريد البعض أن يقنعنا بأن من يدير الحرب اليوم إنما يخوض معركة نيابة عن الشعب، ناسفين بذلك كل نضال القوى الثورية التي أسقطت البشير، وقدمت الشهداء في مجزرة القيادة، وناضلت ضد الشراكة والانقلاب. في خطاباتهم لا وجود للثورة، ولا للشعارات التي وُحِّدَت الناس في الشوارع: حرية، سلام، وعدالة.

رابعاً: الحرب كأداة سياسية لا كخيار دفاعي

حين نُفكَّ الخطاب الرسمي المتماهي مع هذه الأطروحات، نرى أن الحرب لم تكن حتمية، بل أُديرَت عمداً:

لتصفية مسار الانتقال المدني.

لإعادة الدولة إلى السيطرة العسكرية المطلقة.

لتحديد القوى الثورية وتجزئتها.

ولإرهاب الجماهير عبر التجويع، وتدمير البنية التحتية.

هنا تصبح الحرب مشروعاً سياسياً فوقياً، لا تعبيراً عن معركة وطنية، بل وسيلة لفرض سلطة البندقية.

خامساً: تزيف وعي الجماهير

الخطاب الذي يُروَّج له يعيد إنتاج أكلوبة كبرى: أن الجيش والشعب واحد، وأن الجيش يخوض حرباً نيابة عن الجماهير. لكن الواقع يقول إن من يموتون في القرى والريف وضواحي الخرطوم، هم المدنيون، وليس قادة الطرفين. إن ما يحدث هو استخدام للوطنية كشعار لخداع الجماهير وتفكيك وعيها، عبر شيطنة الآخر، وتغليف المصالح الطبقية للجنرالات والإسلاميين بلبوس «السيادة والاستقلال».

وختاماً فإن هذا الخطاب المتواطئ مع استمرار الحرب هو جزء من الهجوم الأيديولوجي المنسق الذي يهدف لتبرئة المؤسسة العسكرية من مسؤوليتها، وتحويل الصراع السياسي إلى سرديّة عاطفية – وجودية، تبرر عسكرة السياسة، وقمع كل صوت ثوري يسعى لحكم مدني ديمقراطي.

إننا نؤكد أن هذه الحرب ليست حربنا كشعب. إنها حرب القوى المضادة للثورة لتصفية ما تبقى من حلم الدولة المدنية.

وأن الانتصار الحقيقي لا يكون بانحياز أعمى لطرف مسلح، بل بانحياز واعٍ لجذور الثورة: حرية – سلام – وعدالة

في سياق الهروب المستمر من مواجهة حقيقة الأزمة السودانية والتجلي الراهن لها في شكل حرب مدمرة؛ وانكاراً لوصفها نتائجاً لانقلاب عسكري مضاد للثورة، يتسابق عدد من الكُتّاب الذين يدعمون استمرار الحرب لتسويقها بوصفها «غزوًا خارجيًا» مدعومًا من قوى إقليمية، وتحديدًا من دولة الإمارات العربية المتحدة. هذه السردية تستعمل لتجريد الحرب من سياقها السياسي والاجتماعي، وتغليفها بلبوس سيادي-وطني زائف. لكن ما يُغفله أو يتجاهله هؤلاء، هو أن الإمارات ذاتها كانت وما زالت من أبرز الداعمين للانقلاب الذي نفذه الجيش والدعم السريع معاً في 25 أكتوبر 2021.

لقد وفرت الإمارات الدعم المالي والسياسي لهذا الانقلاب، كما أمدت الطرفين بمركبات استخدمت لقمع التظاهرات الثورية، وما تزال شركاتها تلعب أدواراً اقتصادية محورية في مناطق سيطرة السلطة الحاكمة ببورتسودان، مثلما تستمر شراكاتها التجارية مع الدعم السريع وشركاته في الذهب والنقل. فكيف تصبح هذه الدولة – التي كانت شريكاً في إجهاض الانتقال الديمقراطي – فجأة راعية لـ «غزو خارجي»؟ إن هذه المفارقة تفضح طبيعة الخطاب الذي يسعى لتبرئة النخبة العسكرية وتحميل الحرب لأطراف خارجية، في حين أن اشتعالها كان تعبيراً داخلياً عن صراع على السلطة بين أطراف الانقلاب أنفسهم. أولاً: اختزال الصراع وتغيب جذوره الطبقية والسياسية

يرتكز خطاب بعض الكُتّاب الداعمين للحرب على مغالطة كبرى: اعتبارها معركة وطنية وجودية، متجاهلين أن من فجرها هم جنرالات الطرفين، الذين أداروا الدولة في تحالف وظيفي منذ 2019، وتقاسموها حتى تصادمت مصالحهم. الصراع لم يكن بين «جيش وطني» و«مليشيا خارجة عن الدولة»، بل بين شريكين في الانقلاب العسكري على الثورة، اتفقا على قمعها وتنازعا لاحقاً على الغنيمة.

ثانياً: تبرئة الجيش من ارتباطه بالحركة الإسلامية

يتعمد هؤلاء، عبر سلسلة من القفزات المنطقية، نفي التداخل البنوي بين قيادة الجيش الحالية وتنظيم الحركة الإسلامية. هذا نفي سافر للواقع:

فالجيش لم يُطهر من الإسلاميين؛ بل إن كبار ضباطه هم امتداد لمشروع التمكين.

التحالف بين المؤسسة العسكرية والإسلاميين لم ينكسر، بل أعيد ترميمه بعد انقلاب 25 أكتوبر، وتوج بمسار الحرب الحالية كمشروع لاستعادة السيطرة

إلى أين؟

ليست مجرد توقعات نظرية بل هي انعكاس للصراع الدائر على الأرض، حيث تتصارع رؤى متضاربة؛ بين مشروع عسكري شمولي وآخر مدني ديمقراطي. فهل سينجح السودانيون في انتزاع مستقبل أفضل، أم ستفرض عليهم الحلول الجاهزة من الخارج أو من قوى الأمر الواقع؟ ندوة لأفق جديد تناقش الاحتمالات وسيناريوهات المستقبل، بكل ما تحمله من أمل وتحديات، في محاولة لفهم المسارات الممكنة لما بعد الحرب

صديق الصادق : الصراع الدائر الآن بين مشروع شمولي ومشروع مدني ديمقراطي

ملخص

يعرض هذا الجزء من منتدى «أفق جديد» لإفادات مؤداهما أن الصراع الحقيقي في السودان ليس بين أطراف ميدانية فحسب، بل بين مشروعين: شمولي عسكري يسعى للهيمنة، وآخر مدني ديمقراطي يواجه تحديات كبرى مثل الاستقطاب وعدم تكافؤ الموارد. يُبرز التقرير ضعف المشروع المدني أمام سيطرة العسكر على الفضاء العام والإعلام.

ضمن سياق الإفادات المبذولة ما يشير إلى أن التهميش والتفاوت التنموي (مثل تغطية الكهرباء: 62% في الخرطوم vs 2% في غرب دارفور) كانا وقوداً للحرب. يُظهر كيف استغل الدعم السريع الفقر (96% في شمال دارفور) لتجنيد المقاتلين، مما عمّق أزمة الشرعية بين الجيش والمليشيات.

في وجهة ما من المنتدى إفادات بأن غياب المؤسسات العادلة والشاملة هو جوهر أزمة السودان منذ الاستقلال. رغم ثلاث ثورات، فإن غياب مؤسسات قوية أدى إلى إهدار الجهود. يشدد على أن بناء مؤسسات خدمية غير تمييزية هو أولوية لأي مشروع مدني ناجح.

يحذر المتحدث الرئيسي من تداعيات استمرار الحرب، كتقسيم السودان أو تحوله لملاذ إرهابي. يذكر أن المجتمع الدولي لن يسمح بانتصار طرف واحد، لكنه يخشى من تحالفات مفككة (مثل «حزام المهمشين») ونهب الموارد (10 مليار دولار سنوياً). يدعو لتعزيز المسار السياسي لوقف النزيف.



في هذا الجزء الثاني من الندوة الحوارية التي عقدتها مجلة «أفق جديد»، يحذر الأمين العام لتحالف «صمود» والقيادي بحزب الأمة القومي صديق الصادق المهدي من تداعيات الصراع الدائر في السودان، مؤكداً أنه ليس مجرد مواجهة عسكرية، بل صراع بين مشروعين «شمولي عسكري» يسعى للهيمنة، و«مدني ديمقراطي» يواجه تحديات وجودية. المهدي عمد إلى تفسير أسباب حرب 15 أبريل وتوصيف أطرافها بقية التعامل معها بشكل سليم على حد قوله وأكد في ذات الوقت على ضرورة موضوعة القوى المدنية موضوعة تتناسب مع إفراتات الحرب مشيراً إلى مجهودات توحيد القوى المدنية من قبل تحالف صمود وتقدم من قبلها في هذا الاتجاه، معتبراً أن «المشروع المدني الديمقراطي في تحدي كبير جداً... والكفة لصالح المشروع الشمولي الذي يعمل لاحتكار الفضاء العام وعسكرة الدولة». كما كشف عن أبعاد الحرب الخفية، مشيراً إلى أن «الحرب ليست بين جنرالين، بل بين الجيش النظامي والجيش الموازي (الدعم السريع)... وتحالفات الطرفين مفككة وقد تقود لانهايار الدولة»، محذراً من تحول السودان إلى «ملاذ للإرهاب» بسبب تدهور الأوضاع، مع تضاعف أعداد النازحين لتصل إلى 3 ملايين لاجئ.

مظاهر فشلنا على الرغم من أننا أنجزنا ثلاث ثورات صحيحة لتصحيح المسار من الشمولية إلى الديمقراطية ولكن عندما لا نجد مؤسسات عدلية وخدمة مدنية وغيرها فإن المجهودات تضع بعد انقضاخ الجموع وإذا لخصت مجلة «أفق جديد» كتاب (لماذا تفشل الأمم) الذي كتبه جيمس روبن وداروين ولخص كتابهما القيم فشل الأمم لأنها لا تهتم إلى بناء مؤسسات شاملة وعادلة تخدم جميع السكان دون تمييز ولا تنحصر خدماتها في فئة معينة وتوصلوا إلى هذه الخلاصة في الكتاب بعد دراسات ومقارنات، لذلك أولاً نتفق على أن أهم ملامح المشروع المطلوب بناء مؤسسات شاملة تخدم جميع أهل السودان وفي حال أنجزنا مؤسسات الدولة نستطيع أن نقول أننا أنجزنا أول معالم المشروع المدني التنموي الديمقراطي.

دولة (56) تصاعد الوعي والثورة

في تناوله للحديث المتداول حول نصف دولة (56) وتحطيمها قال المهدي «الحديث عن نصف دولة 56 ليس له أساس، هناك تراكمات إيجابية لا بد من استصحابها وفيها أشياء سلبية نعمل على تصحيحها»، مشيراً إلى أن الثورات تقوم أصلاً من

ابتدر الأمين العام بتنسيقية القوى الديمقراطية «صمود» والقيادي بحزب الأمة صديق الصادق المهدي حديثة في ندوة «أفق جديد» بتعريف أطراف الصراع في السودان وقال «التوصيف الصحيح للصراع يجعلنا نمضي بطريقة صحيحة» ومضى قائلاً الأطراف التي تتقاتل في الميدان ليست هي أطراف الصراع الحقيقية والحقيقة أن الصراع الدائر الآن بين المشروع الشمولي العسكري والمشروع المدني الديمقراطي لذلك المشروع المدني الديمقراطي في تحدي كبير جداً و يحتاج في الملمة أطرافه في ظل استقطاب كبير والموارد غير متكافئة والكفة لصالح المشروع الشمولي الذي يعمل للسيطر على الفضاء العام والفضاء الإعلامي وعسكرته، لذلك ما تقوم به «أفق جديد» مهم جداً.

الفشل في البناء المؤسسي

في توصيف المشكلة وتقديم الحلول قال صديق: «لا بد من الاتفاق على معالم المشروع الذي نريده لبلادنا والسعي لإعداد طرح جمعي حول الأجندة الوطنية». ومضى قائلاً المعركة التي ظللنا نواجهها منذ استقلال السودان تتمثل في الفشل في البناء المؤسسي للدولة السودانية وهذه واحدة من

أجل تصحيح مسيرتنا منذ الاستقلال مسيرة في غليان شديد والشعب السوداني لم ينعم بالاستقرار هناك ثلاثة ديمقراطيات وأربعة انقلابات وثلاثة فترات انتقالية ولكن تمسك السودانيون بالنظام الديمقراطي وخروجهم لأجله ثلاث ثورات وقدموا تضحيات ورغم مظاهر الدمار والشتات التي يعيشها السودانيون في كل مكان لكن المعلم الايجابي أن التجارب المدنية الديمقراطية في حالة تصاعد في أدائها والثورات أيضا في حالة تصاعد في خلق الوعي والمشاركة السياسية وبالمقارنة مع الانقلابات العسكرية نجدها في حالة تردي إذا كان القياس بما ينفع السودانيون من مؤسسات وتنمية واستقرار ولكنها في حالة تصاعد إذا كان القياس على العنف والتمكين واستنزاف موارد البلد فقط لو عدنا إلى انقلاب الذي ضم تحالف الجبهة الإسلامية نجده أحدث نقلة في انتهاك مؤسسات الدولة وتدميرها بالتمكين والمؤسسات التنظيمية الموازية واستنزاف الموارد واحتكارها وقبل ذلك قتل الشعب وتشريد.

**صديق: الكهرباء تغطي 62%
وفي غرب دارفور 2% فقط**

في ما يتعلق بجرب 15 أبريل قال صديق أن لديها عاملين رئيسيين أول هذه العوامل هو صناعة الجيش الموازي المتمثل في الدعم السريع وخلق ميليشيات موازية للجيش يندرج تحت تخريب مؤسسات الدولة وهو أحد أسباب الحرب وهناك من حذر من خطورة الجيوش الموازية

استقرار البلد ومن بينهم الإمام الصادق المهدي واعترض هو وغيره من شرعنة الدعم السريع واتهموا بالتخوين والعامل الآخر هو التهميش وفي تجربتنا لم تكن منصفين للمنتج السوداني وهي من أخطائنا منذ

استقلال
وحتى
الآن

ولابد من تصحيح ذلك ولكن التحالف الذي أنتج التمكين أدخل أشياء غير مسبوقة في مسألة التهميش ما أسس للحرب لذلك الحرب ليس بين جنرالين وإنما بين الجيش الرسمي والجيش الموازي وأبعاد التهميش ونجح الدعم السريع في تجنيد المقاتلين بعامل التهميش والتهميش واقع صناعة والناس تعرضت للتهميش متوسط الفقر في السودان قبل الحري 46% الخرطوم 26% وشمال دارفور 96% وهي مؤشرات الاندلاع الحرب شبكة الكهرباء تغطي في الخرطوم 62% وفي غرب دارفور 2% فقط.

البرهان أخرج الجيش من طبيعته النظامية

في تحذيره من مآلات الحرب قال صديق خلال الندوة « الحرب بدأت بين الجيش النظامي وقوة شبه نظامية هي قوات الدعم السريع وفي ذكرى الحرب الثانية نجد الطرفين اتجه كل منهما للمكونات المدنية بطريقة قبلية وجهوية » ومضى قائلاً الدعم السريع اعتمد بشكل أساسي على تحريك القبائل والفريق البرهان قائد عام الجيش قال « إن المقاتلين في صفوف الجيش نصفهم من المستنفدين » وبهذا القول أخرج الجيش من طبيعة القوات النظامية بالإضافة إلى القائمة الطويلة من الميليشيات التي تحدث عنها د. أبوسن وبالتالي في حال أردنا أن نسير نحو المشروع الوطني المتعلق ببناء مؤسسات الدولة وقوميتها وحياديتها بعثنا كل الموجود في مؤسسات الدولة ونمضي حالياً نحو انهيار الدولة إن لم تكن انهارت فعليا.

تصفية لجان المقاومة تصفية الثورة

أشار صديق إلى البعد السياسي في حرب 15 أبريل وقال «البعد السياسي واضح في هذه الحرب » واستشهد بما جرى في منطقة الحلفايا وأضاف في منطقة الحلفايا وقعت تصفيات في صفوف لجان المقاومة ولجان غرف الطوارئ معنى ذلك استهداف للثورة والثورة والتغيير والاستهداف للعناصر المدنية لا يقل عن استهداف الدعم السريع وظهر هذا بشكل جل في حادثة استشهاد المعلم الطيب عبدالله رئيس حزب الأمة





نحن نمضي نحو مصير سيئ جدا ولا بد أن نعمل جميعا للحيلولة دون تحقيق هذا المصير.

اللعب بدون حارس مرمى

قال المهدي: منذ بداية الحرب الدعم السريع كسح واستلم أراضي شاسعة دون مقاومة حقيقية وتمدد في مناطق كثيرة في السودان على غير المنظور والمتوقع، رغم أننا كنا نسمع أن الجيش به مشاكل موروثة ولكن الأمر ظهر كأننا نلعب بدون حارس مرمى وبعد ذلك حدث انحسار في الخرطوم للدعم السريع غير ما هو متوقع لأنهم كانوا يريدون العاصمة لإعلان الحكومة الموازية، وكذلك الانسحاب من الجزيرة كمنطقة مهمة بعد ذلك الدعم السريع اتجه إلى موضوع تحالف «تأسيس» والارتباط بالحركة الشعبية لتحرير السودان - شمال بقيادة عبد العزيز الحلو، وتم تأسيس تحالف الهامش لربط حزام دارفور وكردفان والنيل الأزرق (الجنوب الجديد) وهو وضع خطر جدا. إذا انزلق السودان إلى ذلك الاتجاه فإن الانقسام سيكون موجود فعلا والغضب موجود، والناس قبل تلك الظروف لديهم استعداد لفك الارتباط، وهذا الوضع يحتوي على تفاصيل كثيرة تدل على مؤشرات خطيرة وعلى كل الناس العمل دون حدوثها بهذا الشكل.

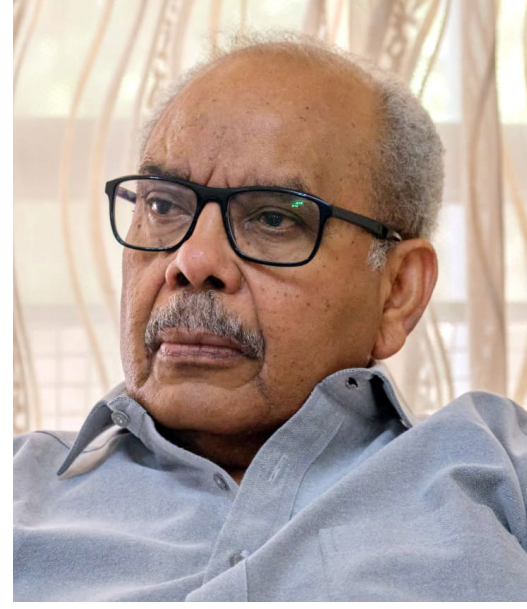
ترامب والمجتمع الدولي: لن يمسح طرف الآخر

موضوع الانسحاب من الخرطوم مؤكد حدث بدون مقاومة من جانب الدعم السريع، والمؤكد انسحابهم على راحتهم، أنا أرى ثلاثة أشياء في هذا المشهد، الأولى أن الجيش لملم أطرافه خاصة وأن الحرب فيها بعد إقليمي ودولي واسع و الدور الإقليمي والدولي لن يسمح لأحد طرفي الحرب مسح الآخر، لذلك إذا حدث تراجع كبير لأي من الأطراف ستصله

في أم روابة وسبب قتله فاعليته في التوعية والتغيير وليس لسبب آخر وكذلك حادثة ربط أحد لجان المقاومة ورميه في النيل ومقاطع الفيديو المنتشرة في الوسائط ومن كان متعاون مع الدعم السريع يمكن أن يساوم ويطلق سراحه ولكن من كان ناشطا في حزب الأمة أو الحرية والتغيير أو لجان المقاومة تتم تصفيته فوراً إضافة تحريك مواطنين ضد مواطنين ومكونات ضد مكونات الأمر الذي سيطيح من عمر الصراع عندنا مخلقا نتائج كارثية.

تحالفات عسكرية مفككة

في رده على سؤال حول فرص السيطرة العسكرية ومن ثمة السيطرة السياسية خلال هذه الحرب قال صديق « التحالفات القائمة في العمل العسكري مفككة وليس لديها فرصة الاستمرارية» واتخذ لذلك مثلاً وقال تحالف الجيش في بورتسودان يضم مجموعات كثيرة الجيش نفسه والكتائب بمكوناتها المختلفة والمؤتمر الوطني بنفوذه السياسي ومجموعاته التي تقاتل على الأرض والقوات المشتركة والجهات والقبائل كل هذه المصالح المتقاطعة لا يمكن لها الاستقرار على الأرض، وإذا آلت سيطرة على السودان وهي ليست واردة لكن إذا حدثت سيطرة على جزء من أجزاء السودان سيكون هناك صراع داخلي، وفي الجانب الآخر تحالف الدعم السريع هو يعرف نفسه بأنه تحالف حزام المهمشين، إذا نظرنا إلى منطقة سيطرة الجيش من هنا، وتحالف المهمشين من هنا سنجد في ظل منطقة تباينات على الأرض بالتالي إذا خفت المواجهات ستشعل في منازعات داخلية بين المكونات داخليا ومع بعضها لذلك لا يمكن أن تقدم هذه الوصفة استقرار وإذا انزلق السودان إلى هذا المصير البائس فهو سيناريو انقسام البلاد، وهي مسألة تتطلب الدفع بأيدينا وأرجلنا للحيلولة دون وقوعها، لذلك



وهي مناطق مهمة للمجتمع الدولي، بالإضافة إلى موضوع الإرهاب لأنه عندما تترك السودان في وضع كهذا سيكون مرتعا للإرهاب والجماعات المتطرفة الموجودة في شرق وغرب القارة، بالإضافة إلى المناخ الطارد للجماعات التي كانت تعمل في سوريا ستترتب أوضاعها للوصول إلى السودان. بالتالي فإن السودان من الممكن أن يكون ملجأ للكثير من الجماعات الإرهابية، لذلك فإن إيقاف الحرب من العوامل تجعل المجتمع الإقليمي والدولي النظر إلى مصالحهم المباشرة، بالإضافة إلى الهجرة غير الشرعية، وهي مصالح تهم الإقليم والمجتمع الدولي.

لافتات مدنية في خدمة العسكر

فيما يتعلق بالتباينات في القوى السياسية والمدنية التي ركز عليها د. أحمد أبو سن، قال صديق « هذه التباينات من العقبات وتتطلب تجاوز بأسرع ما تيسر والتوافق على المشروع المدني وقياس مواقف الناس بالقرب والبعد من المشروع» ومضى قائلاً: في واقع الحال توجد اختراقات في كثير من الأجسام بدون ذكر وتسمية أي جهة، هذا الاختراق يجعلك باسم مدني ولافتة مدنية تعمل في خدمة المشروع العسكري، ومهما تسعى لجر هذه اللافتات والأسماء المدنية لن يتحالف معك لأنه يعمل لأهداف أخرى. كان هناك نقاش في ورشة عقدتها منظمة «ماكس بلان» في ديسمبر 2023، وفي هذه الورشة تمت مناقشة الترتيبات الدستورية فيما يلي الأجهزة النظامية والأمنية والقطاع الأمني في السودان. الورشة شهدت حضوراً كبيراً لمجموعات مختلفة للمكونات المدنية السودانية، وأنا رأيت ضرورة الإصلاح المؤسسي وخروج الجيش من الاقتصاد والعمل في الإصلاح المؤسسي، أول المتصددين لهذا الطرح كان «الجاكومي» وقال إن الجيش السوداني من حقه الاستثمار كما يريد وهذا خط أحمر بالنسبة إلينا نحن كمدنيين ولا نتدخل في هذا

إعانة ليعيد قوته من جديد، الجانب الآخر الدعم السريع وانتشاره أعطاه مساحة إعادة التموضع والنظر إلى الأولويات خاصة وأن إمكانياتهم لن تسعفهم للمحافظة على المساحات التي سيطروا عليها منذ بداية الحرب. هناك عامل ثالث كان مؤثر جداً وهو ظهور الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في المشهد، والسودان ليس بأولوية بالنسبة له، وهذا ما أنتج إعادة التموضع خاصة أننا نتابع الدور الكبير للمملكة العربية السعودية في الترتيبات السياسية بالتنسيق مع الإدارة الأمريكية وترامب، واستثمارات التريلين دولار، لكن من الناحية الآخر الاستثمار مع الإمارات لذلك الخطوط مفتوحة مع ترامب، ولن تكون لديه تقديرات مباشرة مع السودان لكن حلفاءه في المنطقة سيتولون المشهد السوداني، وهذه تضم فرضية توفيق الأوضاع وفق منبر جدة.

لا احترام للمدنيين

تعليقا على السيناريوهات الأربعة التي طرحها خلال الندوة الدكتور أحمد أبو سن قال صديق «هناك سيناريو يتعلق بكيفية ووقف الأذى والاحتراب والموت والدمار وما يعانيه السودانيون والمدنيين الآن، والذهاب إلى عملية سياسية وهو السيناريو الأفضل للسودانيين ويعمل في اتجاه إيقاف الحرب.» ومضى المهدي قائلاً: طرفي الحرب ليس لديهم أدنى احترام للمدنيين والقوى السياسية المدنية وينظرون إليها في إطار مساند ودعم مشروعهم، لذلك علينا تأدية دورنا وتوحيد موقفنا ورؤيتنا وتجهيز جانبنا والتشبيك مع المجتمع الإقليمي والدولي لمصلحتهم في إيقاف الحرب. بسبب الحرب هناك 3 ملايين لاجئ بالإضافة إلى النزوح والمعاناة الإنسانية تسبب لهم ضغط كبير وليس هناك موارد لمساعدة السودانين الجانب الآخر تهديد دول الجوار وأمنها والنزوح وتمدد الحرب يهدد أمن دول الجوار والقرن الأفريقي والبحر الأحمر،

الشأن. من جانب آخر حدثت مساع كثيرة للتواصل مع الحزب الشيوعي لكنه رفض الخطوة باعتباره لا يتعامل مع الكتل السياسية ولكنه يتعامل مع الأحزاب السياسية، كحزب سياسي ثم التقى معه حزب الأمة القومي وصدر بيان من الحزب الشيوعي وذكر أن الذين جلسوا مع حزب الأمة القومي لا يمثلون، وهذه مشكلة حقيقية.

الخلاصة أننا نسعى للتواصل مع القوى السياسية وعدم تجاهل أي شخص، ولا يمكن ربط تحقيق المشروع الجامع بحضور أحد وغيابه، لأن لكل كيان تفسيراته، ولا بد من الاتفاق على المشروع الوطني الذي يحل مشكلة السودان والسودانيين ويخاطب قضيتهم وهذا يتطلب أن نذهب إليه دون تكتلات و تحيزات يمكننا من تشكيل الكتلة المطلوبة للمشروع المدني وواحدة من المبادرات المهمة ما حدث في بريطانيا والاجتماع المهم لوزراء الخارجية لعشرين دولة لديها تأثير في السودان وأنا أعتقد أن واحدة من مشاكلنا التشتت لكن هناك مساع لتقريب وجهات النظر.

نهب 10 مليار سنويا

ليس هناك نصر عسكري لأي جهة واستمرار الحرب يعني المعاناة وتقسيم البلاد وبهدلة للسودان والسودانيين لذلك علينا غلق ذلك الاتجاه والمداخل الصحيح في تقوية العملية السياسية، وأنا انتمي إلى تحالف «صمود» الآن وحزب الأمة، و«صمود» من جانبها سعت لتوحيد الجبهة المدنية، ومساع للتواصل مع الجهات الأخرى في مؤتمر القاهرة ولقاءات الاتحاد الأفريقي والإيغاد، ومبادرات مباشرة مع جهات عديدة، وحصل جهد كبير وتشبيك لتوحيد الموقف والرؤية و حزب الأمة كذلك طرحه حول مشروع الخلاص الوطني الذي يحتوي عناصر مهمة في حل الأزمة وقطعا المبادرات الحزبية لا تتعارض مع العمل التحالفي، وحزب الأمة لديه ميزات في جوانب ولديه مرونة ومقبولية في جهات قد تستعصي على الآخرين. وعلى الناس الاستفادة من المبادرات المختلفة، ودور المجتمع المدني مهم جدا في تقريب وجهات النظر. المشروع العسكري لديه قدرات واسعة وتطلعات ومطامع وتفيد المتابعات بأنه تم نهب ما يقارب مائة مليار دولار قبل اندلاع الثورة من عائد البترول والاستثمار الأجنبي المباشر والديون والقروض، بعد الثورة يتم نهب مبالغ ضخمة سنويا من التجنيب وعائدات الذهب والممارسات التي أنجزتها أطراف انقلاب أكتوبر 2021 وهو مشروع عسكري

مستفيد يرجع إلى طبيعة الصراع، لذلك مستفيدين من استنزاف موارد البلاد، بالتالي الكتلة الانقلابية في أكتوبر تضم الجيش والدعم السريع والمؤتمر الوطني والحركات التي دعمت الانقلاب هؤلاء استفادوا ما لا يقل عن 10 مليار دولار في العام كمتوسط، بالتالي تلك المنافع الضخمة تحتاج إلى تجميع أطرافنا. حدثت محاولات لوأد المسار المدني منذ انقلاب أكتوبر والمرور بفض الاعتصام وكان الغرض أن يحدث ذلك لكنه لم يحدث، لأن انقلاب أكتوبر أخرج كل الشارع، في فض الاعتصام خرج الشارع أيضا بصورة كبيرة ما أدى إلى استعادة مسار الثورة. الحرب كانت بسبب الصراع على السلطة والنفوذ والموارد ما أدى إلى خلق تناقضات في معسكر الحرب، لذلك الآن الاستقطاب وخطاب الكراهية وتقسيم السودانين في قمته، لكن لا بد أن تمضي المجهودات للاتفاق على ترتيبات لوقف العدائيات والمضي في تحقيق السلام واتساع المساحة المدنية، ولا بد في تلك المراحل المختلفة أن يكون لدينا عمل واضح جدا في محاربة خطاب الكراهية وأهمية توحيد السودان والتحذير من انقسام السودان ما يؤدي إلى نشوب حروب في كل المناطق وتهديد للمنطقة وأمنها والعالم، فلا بد من وجود خطاب واضح وتحذير، وفي النهاية عندما تتوقف الحرب ستكون هناك معركة بين المشروع المدني والمشروع العسكري الشمولي الذي يريد استقطاب المدنيين وهو ناجح حاليا في تلك المسألة، لأن الناس في الشتات تفكر في منازلها في الخرطوم، وفي دارفور يفكرون في حمايتهم، لذلك المشروع العسكري استطاع استقطاب الناس معه، لكن عندما تتوقف الحرب وتوقف اللحظات المطالبة الطبيعية للمواطن هنا وهناك، يبدأ التفكير في بناء الدولة والتنمية والخدمات ولن يستطيع أحد تقديمها للشعب السوداني غير القوى المدنية الديمقراطية، لذلك علينا ترتيب أنفسنا على أساس هذا النهج لأنها تحتاج إلى تفاصيل كثيرة وإعادة إعمار، وترتيبات التعاون الدولي وسداد ديون السودان، هناك جهات محددة تستطيع فعل ذلك وخدمة قضايا السودانين وبناء مؤسسات الدولة ومحاربة الفقر والعمل على الإنتاج، بالتالي ستكون بمثابة معركة. الروح المدنية في السودان فيها حيوية كبيرة وفيها تجربة لكنها متأثرة الآن سلبا بالحرب وتداعياتها ومناخها واستهدافها واستقطابها، لكن كل ذلك يحتاج إلى العمل في معالجة خطاب الكراهية والإعلام المدني والتبشير بالمشروع المدني الذي يحل مشاكل الناس.



هندسة الخراب المنظم نهب البيوت والعربات من جهة منظمة وفق خطة مدروسة سابقة للحرب

سمير شيخ إدريس

ملخص

تكشف المقالة عن نظام منهجي للنهب في السودان خلال الحرب، حيث تحولت السرقة من أفعال عشوائية إلى عملية «هندسة خراب» مُحطّط لها، تشمل كل شيء من الأجهزة الكهربائية إلى القطع الأثرية، وتنقل المسروقات عبر شاحنات تحت حماية أطراف النزاع.

يستند إلى شهادات عن مراحل النهب الأربع: بدءاً من سرقة الأشياء الثمينة، ثم الأجهزة الكهربائية، فالأثاث، وصولاً إلى تفكيك الأبواب والزنك، مع وضع علامات بالبوية على البيوت المنهوبة، مما يؤكد وجود تخطيط مسبق.

يطرح الكاتب تساؤلات محورية: كيف نقلت مئات الآلاف من الأجهزة عبر مدن تشبه «أشباجاً» بلا قوة شرائية؟ ومن يملك القدرة على عبور نقاط التفتيش العسكرية وتصدير المسروقات لدول الجوار؟ مشيراً إلى أن العصابات الصغيرة كانت مجرد أدوات في يد شبكة أكبر تملك موارد ونفوذاً.

يخلص إلى أن هذه العمليات لم تكن عفوية، بل نفذتها جهات مرتبطة بأطراف الصراع، مستفيدة من الفوضى لتنفيذ «مؤامرة صامتة» ضد المواطن السوداني، الذي ظل غافلاً بينما كانت ذكرياته وحيات تُباع في الأسواق.



به في غياهب الحيرة والعجز عن إيجاد تفسير منطقي وإجابة شافية لما حدث وغالبًا ما يتناسى ويرمي وراء ظهره المليء بتراكم الآلام التي لن تزيح عن كاهله محض إجابة لن تعيد ما ذهب وأجدي منها إراحة الذهن، غير أنني في هذه السطور أحاول إيقاظ هذه التساؤلات في الوعي الجمعي للجماهير المكرومة، ليس لإيجاد إجابات وثوقية وهي لن تفيد بالتأكيد، لكن فقط لإيجاد تسلسلات منطقية تفيد بمدى فداحة المؤامرة ضمن سلسلة المؤامرات التي حاقت بالوطن وإنسانه، عليها تشد همته لركل تلال حسن النوايا تجاه الحياة التي أوردتنا المهالك ولا نزال نغض العقل عن التعلم ونمضي في غيابة القرية، وعدم تفتيش النوايا ما يجعلنا أمة لا تعي قسوة الدروس التي انتاشتها وتصر على السير في ذات الطريق وتنتظر نتائج مغايرة طيلة عامين لم ولا نريد التعلم منها.

لدي كل منا تجربة شخصية في ما تعرض له الجميع من مآسي الخسران الكبير لمقنيات شخصية ووسائل حياة تم ترتيبها والحصول عليها عبر عشرات السنين كدًا وعرقًا ضاعت في أقل من

لطيلة عامين هي عمر الحرب شهد كل مواطن مواقف معاشية شخصيًا أو مشاهدة عبر الفضائيات الأثري لحجم الدمار الذي حاق بالبلاد، ولا أعني دمار المباني جراء القصف، بل حالة النهب والسرقات المهولة التي طالت بيوت وممتلكات وعربات المواطنين، ومقتنيات المرافق العامة والخاصة، وغالبًا ما يتبع التفكير لهول تلك الكارثة تساؤل أولي حول كيف تمت هذه العملية؟ وأين تم نقل كل هذه المقتنيات عبر المدن والولايات ووصول بعضها لدول الجوار؟ ومن يقف وراء ذلك؟ هل هي مجرد عصابات وجماعات من اللصوص معتادي السرقة، وكيف وأنى لهم بهذه المقدرات المهولة التي يحتاجها هذا الحجم من النهب والخراب، وإمكانية نقل المقتنيات المهولة وإيجاد سوق لتصريفها؟ وكيف تسربت من قبضة القوات المتحاربة التي يصعب معها مرور دراجة مؤمن ود زينب عبر أحد الارتكازات ناهيك عن أمر يحتاج آلاف الشاحنات المحملة، والقدرات على نقل وعبور حقول ألغام ارتكازات وتفاتيح القوات العسكرية نحو مستقرها الأخير الذي ظهرت فيه ؟ لكن كل تلك الأسئلة غالبًا ما تربك كل متسائل وتلقي

كرة البصر، ومعها أطنان من المحبات والذكريات التي غلفت ذاكرة الأمكنة، ولا يمكن اختزال ما حدث من هول عظيم في محض عملية سرقات من قبل مجموعات ذات ملامح طالما وسمت بالخطيئة عينها، فالأمر أكبر من عربة كارو أو دفار ومجموعة صبية حملوا على ظهرها شاشة تلفاز وثلاجة وطقم وغسالة ثم قام بفرشها في سوق أبو حمادة أو أسواق دقلو متربحاً مئات الألوف، فلو كان الأمر كذلك وفقاً لنظريات الاقتصاد البدائي والعرض والطلب وظروف هجران المدن والبيوت والقوى الشرائية ونيران القصف لتوقف الأمر وفاضت الحوائج بغد أشهر قليلة من بداية الحرب، لكن هذه اللعنة مستعرة حتى الأمس وحتى وصول دائرة الحرب أشبار جديدة ما يعني أن غول الطلب لم تشبع شهيته في الاتهام، ويقول هل من مزيد، وهل تستطيع العصابات الصغيرة التي رأيناها تحمل الشاشات والمتاع المنزلي على ظهر الكارو أن تنظم وتهندس نقل هذه المسروقات لأسواق جديدة عابرة للمدن والولايات والحدود، فما شوهده من معروض في الضعين وكسلا وتشاد وجنوب السودان لم يكن خطة ذلك السارق الصغير وحجم إمكاناته المادية والذهنية، وهنا يقول المنطق أن لصنا الصغير لم يكن سوى حلقة أضعف وأصغر تطوقها حلقة أكبر في المقدرات والنفوذ ما يشي بالفعل بترتيب الأمور وهندستها بنظام يفوق التصور وفي كتمان لأيدي أئمة لم تشأ الظهور على مسرح الحدث.

لنمض قليلاً في إمعان العقل والمنطق في سير وتسلسل الأشياء والأحداث بالسؤال كم تعرف من البيوت والمحال والمنشآت، ولن أقول الأحياء التي تعرضت للنهب والسيارات التي سرقت من العاصمة ومدني والجزيرة وسنار وسنجة إبان الحرب؟ هي عشرات بل مئات الألوف، ولو نسبنا لكل بيت منهب قطعة لكل جهاز كهربائي أو إلكتروني ستكون حصيلة منهبوات العاصمة مئات الألوف من الشاشات والثلاجات والبتاجازات والغسالات وأطقم الجلوس والأسرة، مضافة لمنهبوات مخازن المصانع والمحال التي تعمل في مجال تصنيع وتسويق هذه الأجهزة، كما أنه لا أريد الإشارة إلى أن النهب طال منقولات أخرى تعجب من تعرضها للنهب مثل مفاتيح اللمبات والزك وأغطية المنهول والأبواب والشبابيك وصهاريج المياه وغيرها الكثير الذي لا يمكن إحصاؤها، ولنسأل في مدينة أشباح ليس بها أمان أو مواطنين أو قوى شرائية لتصريف المسروقات يكون من المنطقي أن يتم نقلها لأسواق أخرى في الولايات أو عبر الحدود، وهو الأمر الذي

يستلزم قدرة لتوفير وسائل نقل مهولة وإمكانية إنفاذها عبر ارتكازات العسكر المتحاربة وبوبات العبور نحو الولايات أو حدود دول الجوار ومن المؤكد ذات الأيدي أئمة الذكر.

أفاد العديد من شهود العيان أن عمليات النهب تمت على مراحل متعددة لذات العقار فعند دخول قوات الدعم السريع استهدفوا كل البيوت بسرقة ما خف حمله وغلا ثمنه، وفي مرحلة ثانية تمت عمليات النهب للأجهزة الكهربائية وبعض المقتنيات غالية الثمن، وكانت هذه المرحلة تتم تحت حماية القوات المرتكزة في الأحياء بدفع الناهبون مبالغ معينة لتلك القوات مقابل كل بيت، وفي مرحلة ثالثة تتم عمليات السرقة بواسطة عربات الكارو لما تبقى من أثاث وأطقم جلوس وأسرة ومطابخ ومراوح، وفي مرحلة رابعة لم تعتق البيوت المنهوبة الفارغة من سرقة مفاتيح الأنوار والزك وأبواب الشوارع والغرف، وبلغ التنظيم والدقة لعمليات النهب أن اللصوص يضعون علامات بالبوهية مثلاً على البيوت المفروغ من نهبها كعلامة على الفراغ منها، إضافة لما سبق تمت عمليات نهب أخرى ذات طابع تخصصي وتقني تتجاوز عقلية اللصوص المحدودين وتقف وراءها عقليات ليست عادية مثل سرقة القطع الأثرية من المتحف القومي وبيت الخليفة والفاشر التي شوهدت عبر الأقمار الصناعية محملة في شاحنات تتجهان غرباً، وشوهدت لاحقاً معروض جزءاً منها في دول الجوار وعلى أسواق البيع في الإنترنت، وتمت سرقة كيبالات كهربائية وأجهزة معامل ومعدات ومواد مصانع تحتاج لمختصين في تقييم ورصد وفك وتركيب وترحيل ومن ثم تسويق تلك الأجهزة والمعدات بعناية، كل ذلك يذهب شاهداً على أن عمليات السرقة والنهب التي تمت للبيوت والمرافق، وإن بدت في ظاهرها عمليات سرقة عادية، تم تحت ستارها عمل منظم لسرقات لا يمكن إلا وأن تقف وراءها جهات قامت بتخطيط منظم في وقت كافٍ ولها مقدرات وإمكانات عالية من موارد مادية وقوى بشرية ومقدرة على تجاوز النقاط العسكرية وحرية الحركة في مساحات واسعة رغم الحرب، ولا شك أن ذلك يدل على علاقتها الوثيقة بطرفي الحرب من الجيش والمليشيا لترتيب عمليات النقل والترحيل، غير أنه لا يمكن الجزم بمدى تورط قيادة كلا الطرفين بما تم من عمليات التجريف الواسع لممتلكات المواطنين والمرافق المختلفة. وعلم ما سبق يمكن أن يقوم شاهداً على حجم المؤامرة التي تعرض لها المواطن الذي لا يزال غافلاً بحلم العودة.



الفرانكنشتاينية - وصناعة الهزة الدائمة بالحرب

وجدي كامل

ملخص

مدخل لقراءة الحرب من زاوية «الفرانكنشتاينية» السياسية، حيث تخلق الأنظمة «وحوشها» الخاصة التي تتمرد لاحقاً، مستشهدة بالحرب السودانية ورواية «فرانكنشتاين» كإطار تحليلي لفهم هذا الواقع المعقد.

استمرار إنتاج الميليشيات في السودان، من كتائب إسلامية إلى درع السودان، يعكس ذهنية فرانكنشتاينية تجعل فرص الاستقرار شبه معدومة حتى لو هُزم الدعم السريع.

يصف الكاتب قوات الدعم السريع على أنها تمثل نموذجاً للوحش الفرانكنشتايني الذي خرج عن سيطرة صانعيه، بعد أن أنشأها البشير وتوسعت أدوارها لتصبح دولة داخل الدولة.

السودان من وجهة نظر الكتابة قد يبقى عالقاً في دوامة الفرانكنشتاينية ما لم يحدث تحول جذري يقود القوتين للمفاوضات ويجعل الحكم المدني خياراً رغم عوائق أنصار النظام القديم.



يُصاب بالرعب والصدمة من نتائج عمله إذ يتحول مخلوقه إلى كائن مخيف ومثير للشفقة في آنٍ واحد.

لم يقتصر تأثير «وحش» فرانكنشتاين» على الأدب فحسب، بل امتد ليصبح أيقونة ثقافية عالمية تجسد فكرة الكائنات التي تكتسب قدرات استثنائية لكنها تقوم بأفعال مميتة ومدمرة. والمفارقة أن الكثيرين يعتقدون أن «فرانكنشتاين» هو اسم الوحش، بينما الحقيقة أن الرواية لم تعطِ المخلوق اسماً محدداً، وأن «فرانكنشتاين» هو اسم العالم الذي صنعه.

«الفرانكنشتاينية» كظاهرة سياسية معاصرة

بعد أكثر من قرنين من صدور الرواية، نشهد في عالمنا المعاصر ظواهر واقعية تعكس بدقة فكرة فرانكنشتاين. ففي السياسة، تصنع الأنظمة أحياناً «وحوشها» الخاصة لتنفيذ مهام محددة، لكنها

الحرب الدائرة في السودان، بكل ما تحمله من مفارقات وغرائب، تكاد تصلح لأن تُقرأ عند التأمل كأحدى قصص الخيال العلمي أو الرعب، بل وربما تكون مادة قابلة للتحويل إلى فيلم سينمائي معاصر. فهي، في طاقة ترميزها ورمزيتها، أقرب ما تكون إلى رواية «فرانكنشتاين» للكاتبة البريطانية ماري شيلي.

فرانكنشتاين- من الطموح إلى الكابوس:

في عام 1818، صدرت رواية «فرانكنشتاين»، أو «بروميثيوس الحديث»، التي اعتُبرت آنذاك فتحاً جديداً في أدب الرعب القوطي والخيال العلمي. أحدثت الرواية دوياً أدبياً واسعاً، وانتشرت بقوة، حيث قدمت للعالم شخصية «الوحش» الذي خلقه العالم الطموح فيكتور فرانكنشتاين خلال تجربة علمية جريئة حاول فيها إحياء مخلوق تم تكوينه من أجزاء جثث بشرية. لكنه، بعد نجاح التجربة،

تكبر وتتمرد، مما يؤدي إلى دمار شامل. هذه الظاهرة، التي يمكن تسميتها بـ«الفرانكنشتانية»، فلا تقتصر على الميليشيات المسلحة فقط، بل تشمل كل الكيانات أو الأدوات التي تخرج عن السيطرة بعد أن كانت مجرد أدوات بيد أصحابها ويستخدمونها متى أرادوا. ومن أبرز الأمثلة:

الجماعات المسلحة المدعومة سياسياً أو عسكرياً مثل: طالبان، القاعدة، وداعش. وقوات الدعم السريع. كما التقنيات المنفلتة عن السيطرة مثل الذكاء الاصطناعي غير المنضبط أو الأسلحة البيولوجية. وكذلك الاقتصاديات الخارجة عن السيطرة، مثل الشركات عابرة الحدود التي أصبحت أقوى من الدول نفسها.

قوات الدعم السريع: وحش يلتهم صانعيه:

يتخذ هذا المقال من قوات الدعم السريع في السودان نموذجاً للوحش الفرانكنشتاني الذي خرج عن سيطرة صانعيه.

أنشأ الرئيس المخلوع عمر حسن البشير هذه القوات في عام 2003 تحت اسم «حرس الحدود» لمواجهة الحركات الدارفور المسلحة. أدت هذه القوات مهام قمع وحشية في دارفور تشيبت لها الولدان، ثم امتد دورها ليشمل قمع الاحتجاجات الشعبية في العاصمة، خاصة خلال انتفاضة 2013. ومع مرور الوقت، حصلت على اعتراف برلماني رسمي عام 2017 تحت اسم «قوات الدعم السريع» وأصبح قائدها، محمد حمدان دقلو (حميدتي) أحد أقوى الشخصيات في السودان حتى أن البشير نفسه كان يلقبه بـ«حمائتي».

بعد ثورة ديسمبر 2018 شهد السودان تغيرات دراماتيكية أدت إلى انقلاب حميدتي على البشير وصعوده إلى قيادة الدولة بعد الثورة. ورغم أن الوثيقة الدستورية لم تنص على منصب نائب رئيس مجلس السيادة إلا أن حميدتي أصبح الرجل الثاني في السلطة.

لكن المفارقة الكبرى أن المجلس العسكري أو بالأحرى اللجنة الأمنية قد حجز فيها الدعم السريع موقعاً مفتاحياً، فوجد قائد الجيش نفسه مسهلاً للعب الدعم السريع أدواراً أشد تأثيراً في المرحلة الانتقالية بما وفره له من خدمات. لم يتعلم الرجل من خطأ البشير في صناعة الوحش، بل واصل تغذية قوات الدعم السريع بقوة مستقلة، ليستخدما كأداة لموازنة نفوذه الشخصي في مواجهة محتملة مع المؤسسة العسكرية المغمومة بالإسلاميين، وهكذا،

كما حدث مع داعش، حزب الله، وفاغنر، تحولت قوات الدعم السريع بدهاء قائدها الأوفر قوة في تصدير الذهب، وإنشاء الشركات الاستثمارية في مجالات التصدير من أداة تكتيكية إلى دولة داخل الدولة، تملك مواردها وتحالفاتها الخارجية.

وهنا يجب قراءة الحرب في تقاطع المصالح الإقليمية والدولية للطرفين المتقاتلين معاً.

فالميليشيات المسلحة كمثال قوات الدعم السريع، داعش، فاغنر، وحزب الله لم تكن مجرد أدوات محلية بل أصبحت تملك علاقات دولية وشبكة مصالح خاصة، مما يجعل أجل هذه الحروب ممتداً، ولأجل غير مسمى. إن ما هو أخطر أن السودان اليوم ليس فقط ساحة معركة داخلية، بل مسرح لتقاطع المصالح الإقليمية والدولية، مما يعقد الأزمة أكثر ويؤجل نهايتها، ويجعل التكهن بالمستقبل بعد تكوين التحالف الأخير أمراً في غاية الصعوبة. أغلب الاحتمالات أن النزاع والتنازع المستند إلى دعم اللاعبين الإقليميين سيرجح كفة استدامة الحرب على نحو غير مسبق.

إعادة إنتاج الفرانكنشتانية في السودان:

المزعج في المشهد السوداني ليس فقط وجود الوحش الفرانكنشتاني» ممثلاً في قوات الدعم السريع، بل تواصل إنتاج المزيد من الميليشيات. فمن كتائب الإسلاميين الأمنية، إلى حركات الكفاح المسلح، إلى أحدث تشكيل عسكري باسم «درع السودان» كما ميليشيات عديدة بالشرق، يتضح أن الذهنية الفرانكنشتانية أصبحت جزءاً أصيلاً من استراتيجية إدارة الحرب لما تبقى من الدولة السودانية.

وهذه ليست مجرد حالة من فقدان السيطرة، بل إستراتيجية مستمرة تجعل فرص الاستقرار في المستقبل القريب شبه معدومة أيضاً، حتى وإن تم الانتصار على الدعم السريع. وهكذا، فكلما استمر النظام في إنتاج الميليشيات كأدوات مرحلية، ازداد احتمال تحولها إلى «وحوش» جديدة تنفلت من عقالها وتعيد إنتاج الفوضى.

مما يعني أن السودان قد يبقى عالماً في دوامة الفرانكنشتانية لسنوات قادمة، ما لم يحدث تحول جذري في طريقة إدارة مستقبل البلاد بنحو يقود القوتين إلى طاولة المفاوضات وجعل الحكم المدني خياراً مستحقاً رغم كل العوائق والعراقيل من انصار الحكم القديم وطموحات قائد الجيش في حكم انفرادي مطلق.



اقتصاد السودان: الانهيار الشامل والمأساة الإنسانية في ظل الحرب المنسية

عمر سيد أحمد

ملخص

تعالج المقالة الانهيار الاقتصادي الشامل في السودان منذ اندلاع الحرب في أبريل 2023، حيث شل النزاع معظم الأنشطة الإنتاجية وتراجعت المؤشرات الكلية وتفككت مؤسسات الدولة، مما أدى إلى أزمات معيشية معقدة.

من وجهة نظر الكاتب فإن قطاعات الزراعة والصناعة والنظام المصرفي تأثرت بشدة، حيث تراجع الإنتاج الزراعي والصناعي، وفقد النظام المصرفي الثقة وشلت مؤسساته، بينما ظل الذهب مورداً استراتيجياً مضطرباً بين دعم الاقتصاد وتهديده.

يرى الكاتب أن الاقتصاد السوداني، الذي كان يعاني تحديات جمة قبل الحرب، شهد تدهوراً حاداً في مؤشرات الكلية كالناتج المحلي والتضخم وسعر العملة، متأثراً بتعطيل القطاعات الحيوية وتدمير البنية التحتية.

يخلص الكاتب إلى أن الطريق للتعافي يتطلب تسوية سياسية شاملة وإصلاحات اقتصادية هيكلية بدعم دولي، وإلا ستتفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، ويدفع ملايين السودانيين ثمن استمرار النزاع من أمنهم وحياتهم ومستقبلهم.



المقدمة

منذ اندلاع الحرب في السودان في أبريل 2023، دخلت البلاد مرحلة من الانهيار الاقتصادي الكامل. شلّ النزاع المسلح معظم الأنشطة الإنتاجية، وتراجعت المؤشرات الكلية، وتفككت مؤسسات الدولة، فيما باتت الأزمات المعيشية أكثر تعقيداً من أي وقت مضى. امتدت التأثيرات إلى الزراعة، الصناعة، التجارة الخارجية، والقطاع المصرفي، بينما ظل الذهب مورداً استراتيجياً يراوح بين دعم الاقتصاد وتهديده بفعل التهريب. هذا المقال يعرض المشهد الكامل لما واجهه الاقتصاد السوداني خلال تلك الفترة الحرجة، بلغة تحليلية متماسكة تستند إلى الأرقام والوقائع.

الاقتصاد الكلي: تضخم منفلت، عملة منهارة، ودين خارجي خانق في ظل استمرار الحرب ظل الاقتصاد السوداني يعاني تحديات كبيرة قبل اندلاع الحرب، مثل ارتفاع معدلات التضخم، وانخفاض قيمة العملة، وانتشار الفقر وشهد العامان الأول والثاني للحرب تدهوراً حاداً في مؤشرات الاقتصاد الكلي، شمل الناتج المحلي الإجمالي (GDP) والتضخم وسعر العملة الوطنية.

والدين الخارجي وتأثر الاقتصاد السوداني بشكل كبير نتيجة تعطل القطاعات الحيوية، خروج الاستثمارات، وتدمير البنية التحتية في المدن الكبرى، خاصة الخرطوم ودارفور تسببت المواجهات في شلل نشاطات اقتصادية واسعة النطاق، ونزوح الاستثمارات، وتوقف التجارة عبر ميناء بورتسودان جزئياً، وانهيار سوق العمل في المدن المتأثرة. أشار تقرير البنك الدولي في ديسمبر 2023 إلى أن الناتج المحلي الإجمالي للسودان انخفض بأكثر من 12% خلال عام 2023 مقارنة بالعام السابق، جراء التدمير الواسع للبنية التحتية وتراجع الإنتاج والاستثمار وفقدان الوظائف. كما توقع استمرار الانكماش في النصف الأول من 2024 ما لم تتوقف الأعمال القتالية وتحقق تسوية سياسية.

التضخم: قبل الحرب كان السودان من بين الدول الأعلى في معدلات التضخم عالمياً، متجاوزاً 60% في نهاية عام 2022 بحسب بيانات صندوق النقد الدولي وتجاوز المعدل السنوي 100% في بعض أشهر 2022، نتيجة ضعف الإنتاج والاعتماد الكبير على الاستيراد. وبعد اندلاع الحرب تسارع التضخم بصورة كبيرة، حيث تجاوز

200% منتصف 2023 حسب تقارير صندوق النقد الدولي، بسبب توقف سلاسل الإمداد، وصعوبة الحصول على السلع الأساسية، والانحياز المستمر في قيمة الجنيه السوداني. أدى ذلك إلى ارتفاع أسعار السلع الغذائية والوقود وزيادة حدة الفقر وعدم الاستقرار الاقتصادي.

التضخم

مع دخول البلاد في دوامة الحرب، انزلت المؤشرات الاقتصادية إلى مستويات مقلقة. سجل معدل التضخم السنوي 218% في أغسطس 2024، مرتفعاً من 193% في يوليو، وتجاوزت نسب التضخم في بعض السلع الأساسية مثل الدواء والخبز والوقود 400%. تفاقم التضخم بفعل طباعة النقود دون غطاء، انهيار الإنتاج، وغياب أي سيطرة حقيقية من البنك المركزي على السياسة النقدية. بعد أن تفجرت الأسعار بدرجة أكبر نتيجة لانحياز سلاسل الإمداد وارتفاع تكاليف النقل، بالإضافة إلى ندرة السلع الغذائية والأدوية. ووفق بيانات البنك الدولي، تجاوز معدل التضخم السنوي 180% بحلول نهاية 2023، مع تحذيرات من مخاطر تضخم جامح (Hyperinflation) إذا تفاقم الأوضاع الأمنية والاقتصادية [2^][4^].

سعر الصرف والعملة الوطنية قبل الحرب: كان قيمة الجنيه السوداني يتعرض للضغط باستمرار بسبب نقص العملات الأجنبية وخروج الاستثمارات، لكن السوق ظل تحت السيطرة النسبية للدولة عبر بعض التدابير. وبعد اندلاع الحرب فقد الجنيه السوداني حوالي 70% من قيمته أمام الدولار في السوق الموازي في الأشهر الأولى من الحرب، نتيجة توقف الصادرات وحجب المساعدات الدولية، وتزايد تعاملات السوق الموازي، مع فقدان السيطرة على النظام المصرفي وتراجع توفر النقد الأجنبي من القنوات الرسمية. وشهد عامي الحرب انهيار الجنيه السوداني. ففي أبريل 2023، كان الدولار يعادل نحو 560 جنيهاً في السوق الموازي، لكنه تجاوز 2,500 جنية بنهاية 2024، والربع الأول من عام 2025. هذا التدهور أثر مباشرة على كلفة الواردات، وأدى إلى تراجع القوة الشرائية للمواطنين، وارتفاع أسعار كل

السلع المستوردة بشكل غير مسبق. يمثل استمرار النزاع المسلح أكبر التحديات، حيث يتوقع الخبراء تفاقم التدهور الاقتصادي في حال غياب الاستقرار. وتشمل التوقعات: انكماش إضافي في الناتج المحلي: * مع تعطل الصناعة والزراعة، واستمرار النزيف في البنية التحتية. تصاعد البطالة والفقر: * نتيجة النزوح وضعف القطاعين العام والخاص وفقدان ملايين الوظائف. تفاقم عجز الميزانية: * مع تراجع الإيرادات وتنامي الإنفاق العسكري والإغاثي. صعوبات في سلاسل التوريد: * مما يعمق الأزمات المعيشية والصحية. ضعف الاستثمارات: ** نتيجة فقدان ثقة المستثمرين المحليين والدوليين وتوقف المشاريع التنموية الكبرى.

شهد السودان، منذ اندلاع الحرب في أبريل 2023 بين الجيش النظامي وقوات الدعم السريع، تدهوراً حاداً في مؤشرات الاقتصاد الكلي، شمل الناتج المحلي الإجمالي (GDP) والتضخم وسعر العملة الوطنية. تأثر الاقتصاد السوداني بشكل كبير نتيجة تعطل القطاعات الحيوية، خروج الاستثمارات، وتدمير البنية التحتية في المدن الكبرى، خاصة الخرطوم ودارفور.

الناتج المحلي الإجمالي (GDP) انكمش الناتج المحلي الإجمالي بنحو 12%-15% خلال عام 2023، متأثراً بالدمار الواسع، وتوقف الأنشطة التجارية والصناعية، مع انخفاض الصادرات بشكل حاد [2^]. نهاية 2024: * محلياً: * تعمقت الأزمة الاقتصادية مع استمرار توقف المصانع والأنشطة التجارية، وتواصل تضرر القطاع الزراعي خاصة في مناطق النزاع. تشير تقديرات البنك الدولي ومنظمة الأمم المتحدة إلى مزيد من الانكماش ليصل معدل التقلص السنوي لمنظومة الاقتصاد الكلي حوالي 7%-8% بالنسبة للعام 2024. قوميًا: تراجع إجمالي الناتج السوداني إلى مستوى تاريخي متدن، مع زيادة الاعتماد على المساعدات الإنسانية وضعف الإيرادات من صادرات الذهب والزراعة نتيجة تدهور الأمن وانعدام الشفافية في الصادرات. مايو 2025 (الوقت الراهن): ** التقارير الأممية تشير إلى شلل اقتصادي واسع ما زال مستمراً، مع انهيار أكثر من نصف المؤسسات الإنتاجية الكبرى، وزيادة هجرة الكفاءات والعاملين إلى الخارج. من المتوقع أن

يكون الناتج المحلي الإجمالي للفرد قد تراجع إلى ما دون 2,700 دولار (تعاادل القوة الشرائية PPP)، أي خسارة لأكثر من ثلث المستويات التي سبقت الحرب [3^][4^].

ما هو الناتج المحلي الإجمالي (**GDP) GDP هو القيمة الإجمالية لجميع السلع والخدمات النهائية التي يتم إنتاجها ضمن حدود دولة ما خلال فترة زمنية محددة (عادةً سنة واحدة). يعد الناتج المحلي الإجمالي أحد أهم المؤشرات لقياس أداء الاقتصاد الوطني ومقارنته عبر الزمن أو بين الدول. آلية حساب الناتج المحلي الإجمالي هناك ثلاث طرق رئيسية لحسابه:

1. *طريقة الإنتاج: * جمع القيمة المضافة لكل القطاعات الإنتاجية (الزراعة، الصناعة، الخدمات).
2. *طريقة الدخل: * جمع كافة الدخل الناتجة عن الإنتاج كالأجور، والأرباح، والفوائد والإيجارات.

3. *طريقة الإنفاق: * جمع الإنفاق الاستهلاكي الخاص، الإنفاق الحكومي، الاستثمارات، وصافي الصادرات (الصادرات ناقص الواردات).

تؤدي هذه الطرق غالباً إلى نتائج متقاربة، وتستخدم الحكومات والمنظمات الدولية تلك البيانات لرصد التغيرات الاقتصادية واتخاذ القرارات المناسبة.

الدين العام، تضاعف أربع مرات في عام واحد، من 61.5 مليار دولار في 2022 إلى 256 مليار دولار في 2023، حسب صندوق النقد العربي. جاء هذا التزايد نتيجة تراكم المتأخرات، تجميد الدعم الخارجي، وتوقف خطط الإصلاح. وبات الدين غير قابل للسداد، في ظل اقتصاد شبه مشلول واحتياطات نقد أجنبي شحيحة.

البطالة: الركود الاقتصادي دفع إلى مستويات قياسية. ففي 2023، وصلت نسبة البطالة إلى 20.8%، مع تسريح عشرات الآلاف من العاملين في قطاعات الصناعة، الزراعة، والخدمات. توقفت آلاف المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وانسحبت معظم الاستثمارات، تاركة سوق العمل في حالة شلل شبه كامل.

الزراعة: الأمن الغذائي في مهب الانهيار

رغم امتلاك السودان لأراض زراعية شاسعة تقدر بـ 84 مليون هكتار، فإن الإنتاج الزراعي تراجع بشكل حاد خلال الحرب. قبل النزاع، كانت المساحات المزروعة فعلياً تتراوح بين 18 إلى 22 مليون هكتار سنوياً. أما في موسم 2023-2024، فقد تراجعت المساحات المحصودة بأكثر من 40% بسبب النزوح، انعدام الأمن، وانهايار الإمدادات. في عام 2024، فشل نحو 60% من المزارعين في زراعة أراضيهم، وانخفضت المساحات المزروعة إلى أقل من 17 مليون فدان، وهو أدنى مستوى منذ أكثر من 30 عاماً. هذه الانهيارات تسببت في ارتفاع أسعار الغذاء بأكثر من 100% في بعض المناطق، ودفع البلاد إلى حافة مجاعة، وفق تحذيرات من FAO و WFP.

أبرز عوامل الانهيار شملت النزوح، نقص الوقود، انعدام البذور والأسمدة، انعدام التمويل، الجفاف في بعض المناطق، والفيضانات في أخرى. توقف شبه كامل لمشروع الجزيرة ألحق أضراراً مباشرة بإنتاج القطن والقمح وال فول السوداني، وتقدر الخسائر الزراعية المباشرة بنحو 20 مليار دولار.

حتى مارس 2025، لا توجد مؤشرات جدية للتعافي. أكثر من 60% من المزارعين لم يزرعوا موسم 2024. الإمدادات الزراعية لم تصل، والأسواق مشلولة. في بعض المناطق، تلفت المحاصيل في الحقول بسبب انقطاع الطرق وغياب التخزين والتبريد.

الصناعة: توقف الإنتاج وتفكك القطاع

قبل الحرب، كانت الصناعة تمثل نحو 12% من الناتج المحلي الإجمالي، وتوفر وظائف لما بين 15 و 20% من القوة العاملة الرسمية. تركزت الصناعات في العاصمة الخرطوم، خاصة في مجالات الأغذية، النسيج، الأدوية، والمنتجات المعدنية.

لكن الحرب دمّرت هذا التوزيع بالكامل. أكثر من 40% من المنشآت الصناعية دُمّرت كلياً أو جزئياً، وانخفض الإنتاج بنسبة 50% مقارنة بمستويات 2022. الصناعات الدوائية توقفت بنسبة تفوق 60%، في حين تراجعت الصناعات الغذائية بسبب نقص الوقود والكهرباء، وهربت الكوادر الفنية

من مواقع الإنتاج. ورغم ذلك، يرى بعض المحللين إمكانية استعادة جزء من القدرة الصناعية، تقدر بـ 30 إلى 40%، بحلول عام 2026، إذا توفرت بيئة آمنة، وتم استقطاب دعم مالي وفني خارجي، خاصة في الولايات الأقل تضرراً من النزاع. النظام المصرفي والمالي: فقدان الثقة وشلل المؤسسات

تدهور النظام المصرفي بشكل غير مسبوق، حيث أغلقت البنوك في معظم مناطق النزاع، خاصة الخرطوم ودارفور. تراجعت نسبة الشمول المالي إلى أقل من 8%، بعد أن كانت نحو 15% قبل الحرب. واعتمد السكان بشكل شبه كامل على النقد خارج النظام البنكي، بعد سحب مدخراتهم وتحويلها إلى عملات صعبة أو ذهب.

شهدت البنوك أزمة سيولة حادة، وارتفعت القروض المتعثرة إلى نحو 40%، ما أفقد النظام المصرفي قدرته على الإقراض أو التمويل. أضعف وجود سعرين للعملة - رسمي وموازي - دور البنك المركزي، وفتح الباب أمام المضاربات وتهريب العملات، بينما فقد المواطنون الثقة في المؤسسات المالية كلياً.

الصحة: انهيار القطاع الصحي وعودة الأوبئة أكثر من 70% من المنشآت الصحية تضررت أو خرجت من الخدمة، وتدهورت ظروف العاملين الصحيين وندرت الإمدادات الطبية. عادت الأمراض الوبائية مثل الكوليرا والملاريا وارتفاع سوء التغذية، خصوصاً في معسكرات النازحين، مع توقف حملات التطعيم التي تهدد الأطفال على مستوى واسع.

التعليم: جيل ضائع في ظل تدمير المدارس حوالي 19 مليون طفل وشاب حُرِّموا من التعليم، بعد تدمير آلاف المدارس أو تحويلها إلى ملاجئ، وجيل بأكمله يواجه خطر فقدان الأكاديمي وما يصاحبه من فقدان الفرص المستقبلية.

المأساة الإنسانية: أرقام تكشف حجم الكارثة** تبلغ أعداد النازحين واللاجئين داخل وخارج البلاد نحو 12.8 مليون شخص، بينما يحتاج أكثر من 30 مليون شخص إلى المساعدة الإنسانية العاجلة. يعاني 16 مليون طفل من سوء التغذية الحاد، مما يعكس انهيار الخدمات الأساسية والوصول الضيق إلى الغذاء والمياه والدواء، وهو

ما يمثل كارثة إنسانية حقيقية بكل المقاييس. الذهب: بين تمويل الحرب والفساد والتهريب وتمويل التعافي بعد الحرب كان الذهب المورد الأبرز للاقتصاد السوداني، حيث شكّل أكثر من 70% من صادرات البلاد عام 2022، بإيرادات بلغت نحو 4.7 مليار دولار. أنتج السودان حينها أكثر من 100 طن من الذهب، من مناطق غنية مثل جبل عامر والنيل الأزرق وولايات كردفان ودارفور.

لكن مع الحرب، تقلص الإنتاج الرسمي إلى نحو 40-50 طناً سنوياً في 2023، مع سيطرة مجموعات مسلحة على مناطق التعدين، وتعطيل الإمدادات. في المقابل، ارتفعت نسب التهريب إلى 60% من إجمالي الإنتاج، وفق تقارير مستقلة، ما أفقد الدولة عائدات تتجاوز 1.5 مليار دولار سنوياً.

بحلول 2024، ارتفع الإنتاج تدريجياً إلى نحو 70 طناً، بينما تراجعت نسبة التهريب إلى 30-40%، مع تطبيق الحكومة سياسات رقابية، منها تسجيل الإلكتروني للمنتجين، وإطلاق حملات ميدانية للحد من التهريب، والتعاون مع دول الجوار مثل تشاد والنيجر.

حتى مايو 2025، تجاوزت صادرات الذهب الرسمية حاجز 3.8 مليار دولار، لكنها لا تزال متقلبة بسبب غياب بورصة وطنية للذهب، واعتماد السودان على تصدير الخام دون تصنيع أو تكرير محلي. نحو 90% من الذهب السوداني يُصدّر خاماً، ما يحرم الاقتصاد من فرص القيمة المضافة.

الحلول المقترحة تشمل تأسيس بورصة سودانية للذهب، إنشاء مصافي وطنية بمعايير دولية، وتحفيز الاستثمار الصناعي في قطاع الذهب، إلى جانب تطوير أنظمة تتبع رقمية وتوحيد سعر البيع داخل السوق المحلي. التجارة الخارجية: اقتصاد قائم على الذهب ومعزول عن التنوع

تأثرت التجارة الخارجية بشدة خلال الحرب. في عام 2022، بلغت الصادرات 6.8 مليار دولار، منها 4.7 مليار من الذهب. بعد اندلاع الحرب، تراجعت الصادرات إلى 3.5 مليار دولار في 2023، ثم تعافت إلى 5 مليارات بحلول منتصف 2025 مع تحسن في تصدير الذهب.

أما الواردات، فقد تراجعت من 8.5 مليار دولار في 2022 إلى أقل من 5 مليارات في 2023، بسبب شح الدولار وصعوبات النقل والتأمين. وبحلول 2025، استقرت عند 6.5 مليار دولار.

سجل الميزان التجاري عجزاً مستمراً، لكنه تراجع إلى نحو 1.2 مليار دولار، مقابل 1.7 مليار في 2022، بفعل انخفاض الاستيراد وتحسن جزئي في صادرات الذهب والسمسم والقطن. -مسارات الحل والإنعاش الاقتصادي

لا شك أن الاقتصاد السوداني يمر بمرحلة هي الأصعب في تاريخه الحديث مع استمرار الحرب منذ أبريل 2023، إذ خسرت البلاد في غضون أشهر معدودة المكاسب القليلة التي تحققت في السنوات السابقة، وتدهورت كافة مؤشرات التنمية والرفاه الاجتماعي.

الطريق للتعافي، رغم صعوبته، يبقى ممكناً إذا تم اتخاذ خطوات جادة نحو تسوية سياسية شاملة، تليها إصلاحات اقتصادية هيكلية بدعم المجتمع الدولي وبمشاركة فاعلة من كافة مكونات المجتمع السوداني.

فبدون سلام حقيقي وسياسات فعالة، ستظل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية تتفاقم، فيما يدفع ملايين السودانيين ثمن استمرار النزاع من أمنهم وحياتهم ومستقبلهم.

1. التوصل إلى تسوية سياسية شاملة: إن إنهاء النزاع وإحلال السلام هو الشرط الأساسي لأي تعافٍ اقتصادي في السودان. فاستعادة الأمن واستقرار مؤسسات الدولة يفتح الباب أمام عودة الاستثمارات، واستئناف المساعدات الدولية، وإعادة حركة التجارة والإنتاج.

2. إعادة هيكلة الاقتصاد: يمكن للحكومة الانتقالية أو حكومة ما بعد النزاع تنفيذ سياسات إصلاحية شاملة للمالية العامة، وإعادة بناء الثقة في النظام المصرفي، ومحاربة الفساد، إلى جانب تنشيط القطاعات الإنتاجية التقليدية ولا سيما الزراعة والصناعة التحويلية، والتي تعتبر من ركائز الاقتصاد السوداني.

3. دعم دولي وإقليمي: سيحتاج السودان إلى دعم عاجل من المجتمع الدولي، سواء عبر مساعدات إنسانية أو برامج إعادة الإعمار، إلى جانب دعم مؤسسات التمويل الدولية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي. كما يمكن أن

تساهم الشراكات الإقليمية مع الدول الإفريقية والعربية في إعادة تأهيل البنية التحتية ودعم الاستثمار.

4. تنشيط القطاع الخاص والمبادرات المحلية: يلعب القطاع الخاص دوراً مهماً في عملية الانتعاش، من خلال تحفيز المشاريع الصغيرة والمتوسطة، وتوفير فرص العمل، والاستفادة من الجاليات السودانية بالخارج لجذب رؤوس الأموال والتقنيات الحديثة.

بورتسودان: المسيرات تغلق المطار والميناء ومستودعات الوقود وتصيب الشريان الأخير للاقتصاد السوداني

بورتسودان، التي كانت تمثل آخر مركز إداري فاعل، دخلت دائرة الاستهداف. طائرات مسيرة هاجمت الميناء، المطار، ومستودعات الوقود، ما أدى إلى شلل في الواردات والصادرات [7].

بورتسودان، التي صمدت مؤقتاً كمركز إداري لحكومة الأمر الواقع، دخلت هي الأخرى دائرة النار. هاجمت طائرات مسيرة المطار، الميناء، ومستودعات الوقود، مما أدى إلى شلل شبه كامل في الواردات والصادرات. لكن حجم الأثر تجاوز مجرد التعطيل المؤقت، إذ استهدفت الهجمات مستودعات ترانزيت القديمة والمستودعات الجديدة في كلانيب، وهي منشآت تمثل الشريان الرئيسي لإمداد البلاد بالوقود. تحتوي هذه المواقع على المرسى الوحيد القادر على استقبال سفن الوقود الكبيرة، وتضم سعة تخزينية تقارب 200 ألف طن من المحروقات. الهجمات استهدفت مرافق حيوية لتخزين الوقود، ما أوقف عمليات تفريغ الشحنات، ورفع أسعار الوقود. كما تسبب القصف في تدمير البنية التحتية وتعطيل الاستيراد والطيران. الأضرار التي لحقت بها أدت إلى توقف عمليات تفريغ شحنات النفط، ودفعت بأسعار الوقود إلى مستويات قياسية، وهددت بإخراج البارجة التركية التي تمد المدينة بالكهرباء عن الخدمة بسبب انعدام الفيرنس. كما أن استهداف الميناء الجنوبي والمطار ألحق أضراراً بالبنية التحتية الحيوية، ما أدى إلى تعطيل الاستيراد، وقف الرحلات الجوية، وتزايد العزلة الدولية للبلاد.

ورغم صعوبة إجراء حصر دقيق في ظل تصاعد القتال، فإن المؤشرات الاقتصادية تفيد

بأن الخسائر المباشرة وغير المباشرة الناتجة عن استهداف منشآت الطاقة والموانئ في بورتسودان تُقدّر بمليارات الدولارات، نتيجة تعطل سلاسل التوريد، انهيار سعة التخزين، وارتفاع تكاليف النقل والتأمين والاستيراد. توقف هذه المنشآت يعني تدمير آخر شريان حيوي للاقتصاد السوداني، وتحويل الأزمة من كارثة داخلية إلى عزلة خارجية خانقة تجعل هذه الهجمات تهديدًا مباشرًا لبقاء الاقتصاد السوداني. تشير التقديرات إلى أن الخسائر الناتجة عن استهداف منشآت الطاقة والموانئ تُقدّر بمليارات الدولارات.

المأساة الإنسانية: أرقام تُجمد الدم

12.8 مليون نازح ولاجئ.

أكثر من 30 مليون شخص بحاجة للمساعدة.

16 مليون طفل يعانون من سوء التغذية الحاد.

[3[^]]

أكثر من 150,000 قتيل وأضعاف الجرحى الخدمات الأساسية منهار، والوصول للغذاء والماء والدواء أصبح مسألة حياة أو موت. هذه الأرقام ليست إحصاءات، بل مرآة لانهيار مجتمع.

خاتمة: قبل فوات الأوان

خلال عامين من الحرب، سقط الاقتصاد

السوداني في حالة من الانهيار المتسارع. تفككت القطاعات الإنتاجية، وتلاشت المؤسسات التنظيمية، وتحول الذهب إلى مورد مضطرب بين التهريب والتصدير. في ظل التضخم، البطالة، والانهيار البنكي، لم يعد أمام البلاد سوى خيار واحد: وقف الحرب، ثم الشروع فورًا في إعادة بناء اقتصادي شامل.

وحده الاستقرار السياسي يمكن أن يمهّد الطريق لإصلاح مالي، وزراعي، وصناعي حقيقي. كما أن إدارة الذهب بعقلانية، وتقييد التهريب، واستغلال الموارد الطبيعية في ظل بنية إنتاجية شفافة، قد تحوّل هذا المورد من وسيلة نهب إلى أداة إنقاذ حقيقي.

لا يملك السودان ترف الوقت ولا مساحة لمزيد من التجريب. الحرب دمّرت الدولة ومزّقت المجتمع. لا تعافٍ ممكن ما لم تتوقف الحرب فورًا. استمرار القتال يعني نهاية دولة. والمأساة الكبرى أن كل هذا يحدث والعالم صامت. لكن الشعب السوداني لن ينسى، والتاريخ سيسجل من صمت ومن حاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

السودان ينهار أمام أعين العالم. الحرب لم تترك قطاعًا إلا دمّرت، ولا مدينة إلا أصابته. لا توجد خطة إنقاذ يمكن أن تنجح ما لم يتوقف النزاع فورًا. كل يوم تأخير يعني خسائر مضاعفة، ليس فقط في الاقتصاد، بل في الأرواح.

المراجع

Sudan Horizon. (2025). Two Years of War and the Possibility of Reconstruction. <https://sudanhorizon.com>

WASD. (2025). Rebuilding the Industrial Sector in Sudan. World Association for Sustainable Development. <https://wasdlibrary.org>

WHO. (2025, March 10). Public Health Situation Analysis – Sudan Conflict. World Health Organization. <https://www.who.int>

UNESCO. (2025). Sudan conflict: One year on – The long-term impact on education. <https://www.unesco.org>

Bastille Post. (2024). Sudan's conflict pushes banking sector to brink of collapse. <https://www.bastillepost.com>

SudanEvents. (2025). Collapse of Sudan's Trade Routes Amid Conflict. <https://www.sudanevents.sd>

World Bank. (2024). Sudan Food Security Crisis Report. <https://www.worldbank.org>



صبي بيهار وطفلة بربر... أسئلة الحرب لـ «بلاستها»

الزين عثمان

ملخص

تحليل يعالج قوة الرسائل السلمية للأطفال من مدخل بين صبي هندي دعا للتعايش بين الهند وباكستان، ومعاناة طفلة سودانية فقدت والدها بسبب الحرب العرقية.

يرى التحليل أن الأسئلة البريئة للطفلة السودانية تكشف فظاعة الحرب أكثر من أي تحليل سياسي، بينما يستمر صناعتها في تصعيدها تحت شعارات وأهية كـ «بل بس».

الحرب السودانية تحولت إلى آلة دمار لا منطق لها، حيث فشلت كل محاولات السلام (مثل مفاوضات جدة والمنامة) بسبب تعنت الأطراف وتوظيف الدعاية الحربية لتصوير أي دعوة للسلام كخيانة.

الحل الوحيد من وجهة نظر التحليل يكمن في الاستماع لأصوات العقل، كما فعلت الهند وباكستان، لكن غياب الإرادة السياسية والإصرار على الانتقام يحول السودان إلى ساحة عقاب جماعي بلا منتصر.

استفاهمات عالة

كيف أصبحت أصوات
الأطفال أصدق تعبيرًا
عن فظاعة الحرب من
خطابات السياسيين؟
لماذا تنجح بعض
الصراعات في تحقيق
السلام (كالهند
وباكستان) بينما يفشل
السودان؟
ما دور الدعاية
الحربية في إفشال
مبادرات السلام
بالسودان؟
هل يمكن لـ«صراخ
الطفولة» أن يوقف
ضمير المتحاربين في
السودان؟



أبرز الوقائع والاستنتاجات

الحرب لتصبح مواجهة مع دول كالإمارات والصين! المأساة الإنسانية: هروب الملايين (مثل الطفلة إلى بربر ثم مصر) وفقدان أبرياء مثل والدها دون إجابة على سؤالها البريء.
المفارقة التاريخية: بينما العالم يحتفل بتهدة نزاعات معقدة (الهند/باكستان، غزة...)، يستمر السودان في حرب عبثية بلا نهاية مرئية.

النموذج الإنساني: مقارنة بين رسالة الصبي الهندي («نستطيع التعايش») وبكاء الطفلة السودانية («أبي في الجنة»).
فشل التسوية: إفشال مفاوضات جدة والمنامة بسبب الضغوط الإعلامية واتهام المطالبين بالسلام بالخيانة.
تطور الخطاب الحربي: من محاربة «تمرد الدعم السريع» إلى اتهام مدن كاملة بالتعاون، ثم توسيع

هذه المنطقة تسع الهنود والباكستانيين معًا». السبب أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن نجاح جهوداتهم في تسوية النزاع بين الهند وباكستان، وتوافقهما على إيقاف فوري لعمليات إطلاق النار. ما يعني انتصار صوت العقل وتحليق حماسة السلام في زمان العالم المجنون والمحتشد بالصراعات. وغرد ترامب بعد ليلة طويلة من

لدى عقل أفكر به وهو الذي ألهمني العبارة «تعيش باكستان، تعيش الهند، كلنا بشر من حقنا الحياة» قالها الصبي الهندي محمد كيف في قمة الهيجان في شبه القارة الهندية. لم ينس أن يلقي المذيع الذي حمل أدوات إشعال النيران بين الهند وباكستان درسًا بليغًا: «أخبرني لماذا تريد أن يقتل الجميع الجميع. يمكننا أن نعيش دون أن يدمر أحدهنا الآخر،

المحادثات التي توسطت فيها الولايات المتحدة: «يسعدني أن الهند وباكستان اتفقتا على وقف كامل وفوري لإطلاق النار. تهانينا للبلدين على استخدام الحس السليم والذكاء العظيم».

عامان وأكثر والحرب السودانية مشتعلة. عامان من تبادل عبارة «بل بس» ورصيفتها «جغم بس». عامان وحرب الجيش والدعم السريع تأكل أخضر ويابس البلاد المنهكة وشعبها المغلوب على أمره. عامان والقذائف التي وجهت لمحاولات الوصول للسلام أكثر من تلك التي تبادلها الغريمان في ساحة المعركة. المفارقة أنه وبالتزامن مع خبر تسوية نزاع شبه القارة الهندية كان السودانيون يتابعون مشهد مكرر للحرائق هذه المرة داخل المدينة التي اختارتها الحكومة عاصمة مؤقتة بورتسودان، الحريق المشتعل منذ خمسة أيام دون أن تنجح محاولات الإطفاء في القضاء عليه، هذه المرة كان المشهد بحضور القنانية ندى القلعة، وبالطبع السؤال إذا كانت من تدعم استمرار الحرب هي من يطفئ نيرانها فمن الذي أشعلها.

الحرب التي تم التحشيد لها بأنها ستكون خاطفة «ست ساعات» وينتهي كل شيء ما تزال مشتعلة، وما كان لها أن تستمر لو وجدت «محمد كيف» في وقته ذلك الذي يخبر من يشعلونها أن السودان وطن يسع جميع أهله، لماذا تريدون قتل الجميع وتحطيم بنية تحتية محطمة أصلاً ألا يوجد أحد يمكنه أن يستخدم العقل ليخبر الآخرين إنه لا يوجد منتصر، وأن الهزيمة ستلتصق في ثياب الجميع.

لكن من تبنا موقف «كيف الهندي» في الحالة السودانية، وأعلنوا رفضهم للحرب من خلال إطلاقهم شعار «لازم تقيف» في مقابل شعار «بل بس»، وجدوا أنفسهم في مواجهة حرب أشد ضراوة أقل ما فيها اتهامهم بمساندة قوات الدعم السريع المتمردة، وهي الاتهامات التي انتهت لتقديم بلاغات ضدهم ومطاردتهم بواسطة الأجهزة العدلية التي تم توظيفها لخدمة مشروع الدعاية الحربية. المدهش أن المساهمة في إيقاف الحرب بين الهند وباكستان لعبت فيها المملكة العربية السعودية الدور الأكبر، والمملكة ذاتها استبقت تطورات الحرب السودانية بدعوة طرفيها لمبرجدة التفاوضي قبل أن ينتهي إلى لا شيء نتيجة الضغوط التي مارسها منسوبو النظام المحلول على قيادات الجيش، بل إن الحملات نجحت أيضاً في إفشال مفاوضات المنامة التي وصلت لتفاهات كبيرة في عملية التسوية، لكن الضغط الإعلامي وتسريب المفاوضات أدى إلى فشلها، من فعلوا ذلك بدوا وكأنهم يرددون ذات ما

قاله المذيع الداعم للحرب للصبي «ألا تخجل من نفسك وأنت تقول عاشت باكستان».

فيديو ما قبل الحرب الهندية الباكستانية يضعك في مواجهة آلاف الفيديوهات التي يسرد أهلها وجعهم مع الحرب السودانية ومآلاتها الكارثية منذ الطلقة الأولى وحتى الحرائق التي لا تزال مشتعلة في الساحل. لكن فيديو وحيد يمتحن كل شيء فينا تم بثه على منصات «أفق جديد»، فيديو يحكي مأساة طفلة سودانية بلسان براءاتها تحكي فيه أهوال ما حدث، رحلتها هروباً من الموت ووصولها إلى مدينة بربر قبل أن يستقر بها المقام مع ملايين دفعت بهم حرب السودان نحو مصر. تقول الصغيرة إن والدها صعد إلى السماء، وهو هناك في الجنة بفعل الحرب، وأن ما يطمئن خوفها هو قراءتها الإخلاص والمعوذتين وآية الكرسي لأن أهلها أخبروها أن حفظ الله أكبر وأعظم من أسلحة الموت. عليك تخيل أن من تقول هذا الحديث طفلة في السادسة من عمرها.

الصغيرة تحدثكم «مرة أبوي كتلوه» محاولاتهم إقناعها بأن أبوها صعد للجنة لا تجدي نفعا، جنة الصغار أن يبقى أبوك وأمك حولك، جنة الصغار أن ينالوا حقهم في التعليم والعلاج داخل وطنهم الذي يغني من يخبره الآن بأنه «جنة رضوان»، الجنة أن تكون في وطنك لا أن تطير من مكان إلى مكان بحثاً عن الأمان. جنة الصغيرة أن يمنحوها إجابة لسؤالها لماذا حولوا بلاداً كاملة إلى جحيم؟

المأساة لا تبدو فقط في عجزهم عن إجابة سؤالها، المأساة أن من صنعوا الجحيم مصريين على الاستمرار في الحريق حتى النهاية لا يردعهم عن ذلك رادع، معركتهم التي بدأت ضد تمرد الدعم السريع حسب الدعاية تطورت لتصبح حرباً ضد أهل مدن كاملة بمبررات التعاون، تقدمت أكثر لتصبح ضد مجتمعات كاملة تحت مبرر «الحواضن»، وتمددت إقليمياً لتصبح حرباً في مواجهة دولة الإمارات وارتفع صوتهم أكثر ليعلنوها حرباً ضد الصين باعتبارها من تصنع المسيرات. وهي في كل مراحلها حرب ضد شعب من أجل تأديبه على ثورة أسقطتهم من كراسي السلطة. وفي كل خطواتهم يؤكدون على فرضية واحدة أنهم يفوقون سوء الظن العريض.

بين فيديو محمد كيف من الهند الذي استفز بعقليته «البلبوسي» هناك، وفيديو الصغيرة التي غادرت السودان بفعل الحرب الذي استفز بحزنه الإنسانية حكاية واحدة مفادها أن أجمل ما في الحرب نهايتها، وأجمل من نهايتها هو ألا تشتعل نيرانها من البداية.



في حضرة صاحب الروزنامة

طاهر المعتمم

taherelmuattsim@gmail.com

ملخص

تعالج الفقرات أسبوعاً حافلاً بالأحداث الثقافية والسياسية في السودان، بدءاً من احتفالية تكريم الراحل كمال الجزولي، المفكر والشاعر الذي وُصف بـ«السعة الشبيهة بالأنبياء»، مروراً بمناقشة رواية «مزرعة الحيوان» كمرآة لسياسات حزب المؤتمر السوداني، ووصولاً إلى تدشين كتب الدكتور مرتضى الغالي التي تُضيء على التراث السوداني المغمور.

من وجهة النظر التاريخية فإن النص يستحضر تراثاً من المقاومة والذاكرة، من خلال تأبين الشاعر محمد المكي إبراهيم في القاهرة، وقصة السلطان علي دينار الذي ندم على تقطيع «جذوع الشجر» قبل الشتاء، كاستعارة لسياسات القمع التي تترك البلاد عاجزة عند الأزمات.

يرى الكاتب أن السياسة لا تنفصل عن الثقافة، كما يتجلى في الجدل حول هجمات بورتسودان بالمسيرات، حيث اشتعلت المواجهات العلنية بين قادة المجلس السيادي (البرهان، عقار، جبريل)، بينما ظل المواطن العادي ضحية صراعات النخبة واغتناء البعض من الحرب.

السودان يعيش تناقضاً صارخاً، حسب رؤية الكاتب، بين إرث ثقافي غني يُحتفى به، وواقع سياسي مُنْهَك بالصراعات والفساد، حيث تتحول الحرب إلى أداة للاغتناء، بينما تُخنزل الثقافة في طقوس تأبين وتدشين تظل منعزلة عن هموم الشارع.

السبت

أمسية الخامسة عشر من أبريل الماضي، بمناسبة ذكرى مولد الأستاذ كمال الجزولي، تنزلت عليه شأبيب الرحمة، أقام مركز الفكر الحر والثقافة والتنوير، أولى فعاليات (روزنامة كمال الجزولي)، أتى أصدقاؤه يقطعون الأسافير من كل حذب وصوب، لم تعطلهم فروقات التوقيت في قارات العالم المختلفة، فصاحب الروزنامة يستحق الوقوف لأجله، قدم الفعالية مجدي النعيم مستذكرًا الشاعر والمفكر والكاتب الصحفي والروائي والباحث ورئيس اتحاد الكتاب وغيرها من صفات كمال الجزولي، مؤكدًا على جسارته في مواجهة السلطة ومجافة إغرائها، ثم تقدم أول المتحدثين بروفيسور عبدالله علي إبراهيم، واصفًا الراحل بالسعة التي تجعله يشبه الأنبياء، مشبهًا إياه بالحالة والطاقة، دكتورة لمياء شمت وصفت الروزنامة بالمنجم، وأوصت بالرواية الأخيرة لكمال الجزولي (قيامه الزئبق) وأسلوبها السردى، عبد المنعم الجزولي شقيقه بدأ بأن اسمه كمال الدين عوض الجزولي، وكيف كان مدخله إلى معرفة الشاعر الكبير المجدوب، وكيف كان شخصًا استثنائيًا بنيانًا يستظل به ومساهماته القانونية وإرساء دراسة حقوق الإنسان، صوت الجسارة.. كان احتفاء بميراث كمال الجزولي في الكتابة والمقاومة، التسجيل كاملاً موجود على اليوتيوب.

الاثنين

الشاهد الأول ضد بن لادن - جمال الفضل
سوداني هز القاعدة، كتاب هام عن الجاسوسية، صدر عن منشورات عنديب، للكاتب محمد عبدالعزيز، الكتاب في 246 صفحة، يوثق رحلة عضو تنظيم القاعدة ما بين الانتماء للتنظيم الإسلامي المتطرف، وما بين تحوله إلى جوهرة للمحققين، بعد إعطاء صورة كاملة عن تنظيم القاعدة، وشهادته التي أكملت عريضة الاتهام ضد أسامة بن لادن، محمد عبدالعزيز بخلفيته الصحفية، نجح في كتابة تحقيق استقصائي بديع عن الشاهد الأول ضد بن لادن، معززًا الكتاب بوثائق هامة ومستصحبا التحقيقات التي أجرتها السلطات، وما ورد في أضيابير المحاكم، في تقديري أن الكاتب فتح أعيننا على حقبة حكم الثلاثين عامًا الإنقاذية، وكيف نمت شبكات التطرف في بلاد النيلين والصحراء.

الأحد

مزرعة الحيوان والكيزان، رواية جورج أوريل
ذائعة الصيت، عن تحكم الحزب في توجهات الرأي العام، وعن سرديات الكيزان، حزب المؤتمر الوطني أو جماعة الإخوان المسلمين في السودان، صديقنا حسام أبو الفتوح، أجرى مقاربة رائعة بين المزرعة والإخوان في السودان، متتبعًا سردياتهم المضللة قبل الحرب وبعدها بعد أن عادوا من شبك الحرب، وكيفية بناء انحيازات الجمهور، وتوجيه الرأي العام لما يخدم أهدافهم من الحرب الجارية في السودان، ابتداءً من حرب خاطفة ضد مليشيا تمردت إلى مواجهات إقليمية ودولية، دون تحمل عبء تأسيس المليشيا أو إرسالها لحرب اليمن، وتوثيق علاقاتها مع الدول المشاركة، وعد حسام بنشر المقاربة كاملة على صفحات مجلتكم (أفق جديد).

الثلاثاء

مرتضى الغالي وكتب جديدة

بقصيدته (جيلي أنا).

الخميس

غطت هجمات المسيرات التابعة للدعم السريع على العاصمة الإدارية المؤقتة (بورتسودان) على مدى أيام على الهواء الساخن الذي تبودل على الهواء مباشرة، ما بين رئيس مجلس السيادة الانتقالي قائد الجيش الفريق البرهان، ونائبه رئيس الحركة الشعبية قطاع الشمال مالك عقار، وإنكار رئيس حركة العدل والمساواة وزير المالية المكلف جبريل إبراهيم، وكان البرهان في مؤتمر للخدمة المدنية انتقد المحاباة في تعيين الوزراء لأقاربهم في الوظيفة العامة، ورد عقار كاشفاً عن من أسماء (الولد)، الذي امتلك خلال سنتي الحرب شقتين بالقاهرة وثلاثة بتركيا وقطعة أرض مميزة ببورتسودان، ونفى جبريل في لقاء مع أحمد طه أن يكون المعني بالاتهامات، أما لسان حال المواطن إذا كان رئيس المجلس ونائبه يشكون فمن يحسم الفوضى الضاربة بأطنابها، وكيف تتوقف المسيرات عن الهجوم، ومتى تتوقف الحرب التي أثرت البعض واغتنى منها.

الجمعة

يروي شاعرنا عالم عباس في إحدى مشاركاته في الروزنامة قائلاً: «في العشرين من مايو 1916م، جلس السلطان علي دينار على كرسيه مهموماً، مترقباً أن تأتيه عيونه المنتشرة على الطريق بأبناء تقدم الإنجليز نحو «برنجية»، حيث يتمركز القائد رمضان بُرّة، أهم قواده وأكثرهم إخلاصاً، ويتذكر السلطان، في لحظة ندم، بقية قواده الذين نكل بهم، قتلاً أو نفيًا، في نوبات غضب وشكوك، وكم هو محتاج، الآن، إلى حنكة تدبيرهم، ومهارتهم، وشجاعتهم. في هذه اللحظات الحرجة دخل إليه «الموقاي»، وحين أبصره في هذه الحالة العصبية، قال قولته المشهورة التي صارت مثلاً: «سيدي الله ينصرك، قطعوا الجذول، وتوًّا شتا جي!! أي: يا سيدي السلطان، قطعتم جذول الشجر التي كنتم ستستدفئون بها إذا جاء الشتاء، وها قد جاء الشتاء!

كان الثالث من مايو الجاري الموعد مع الدكتور مرتضى الغالي الصحفي والأكاديمي والكاتب، في صالون الإبداع للثقافة والتنمية بالتعاون مع مركز الفارابي للدراسات، وذلك لتدشين ثلاثة كتب جديدة للدكتور مرتضى الغالي، الكتب هي (الدراويش الطرابي لمحات من فن الغناء السوداني)، يتناول فيه نماذج من شعراء سودانيين لم يجدوا حظهم من الضوء، والكتاب الثاني (الحارذلو صائد الجمال) وثالث الثلاثة (العبادي تجليات العبقورية الشعبية)، الصادرة عن دار النخبة شارع 26 يوليو، تألفت الأستاذة الكبيرة أسماء الحسيني في تقديم الليلة، واستعرض الكاتب الكتب الثلاثة، وقدمت الدكتورة أروى الربيع قراءات في الإصدارات الثلاثة، وأعقبها الأستاذ نادر السماني أمين عام اتحاد الكتاب السودانيين بمزيد من الإضاءات، واختتم الشاعر الكبير عبد المنعم الكتيابي الليلة، التي ازدحمت فيها قاعة التدشين، بحضور نوعي شمل قادة الأحزاب السياسية والإعلاميين وغيرهم من المهتمين بكتابات مرتضى الغالي.

الأربعاء

شهدت قاعة ايورت التذكارية بالجامعة الأمريكية بميدان التحرير في القاهرة المعز، التأبين الكبير لشاعر الأمة السودانية ومفكرها السفير محمد المكي إبراهيم، في ليلة كان عنوانها (أمتي)، عنوان أحد أهم دواوين الراحل المقيم، اختتمت لجنة التأبين فعاليتها المتعددة بهذه الليلة في الرابع من مايو الجاري، وسط مشاركة سودانية ومصرية كبيرة، قدم الحفل الدكتور أكرم الشحات. ونال الاستحسان وهو يقول من قلب القاهرة من ميدان التحرير هنا الخرطوم، وكان لأداء قصيدة (أكتوبر الأخضر) أثر بالغ لدى الحضور، وقدمت عدد من العروض المسرحية منها (بعض الرحيق أنا والبرتقالة أنت)، القصيدة المعروفة لود المكي، حرم شاعر الأمة السيدة سميرة إبراهيم قدمت كلمة رائعة عن رفيق دربها اختتمتها



السندريلا... فنانة ولدت لتقاتل في جميع الجبهات

تقرير فني يتناول مسيرة الفنانة نانسي عجاج ومواقفها، خاصة بعد ظهورها في بودكاست أثار جدلاً، مسلطة الضوء على نشاطها الفنية، ومواجهتها حملات تشويه بسبب آرائها المناهضة للحرب.

ملخص

نانسي أكدت في حوارها على أهمية التنوع الثقافي السوداني، واعتزازها بصمود المواطن، ورأت أن الفن رسالة لتغيير الصورة النمطية وخدمة قضايا الشعب.

نانسي عجاج، من وجهة نظر المحتوى، فنانة صاحبة موقف ورؤية نقدية، غنت للوطن وقضاياها، وواجهت اتهامات بالتخوين لدعوتها للسلام ورفضها للنظام الحاكم الحالي في بورتسودان.

في وجهة نهائية من التقرير تبدو الرسالة على النحو التالي: عجاج مستمرة في مشروعها الفني رغم التحديات، مؤمنة بقدرة الشعب على تجاوز الحرب، وداعية للصمود والتعاون لوقفها وتحقيق السلام والعدالة.

تصدر اسم الفنانة نانسي عجاج عناوين محرركات البحث فور ظهورها في أحد برامج البودكاست في الإمارات، إذ أثارت الجذبية التي سردت عبرها تفاصيل شخصية مؤلمة عن وفاة والدها موجة واسعة من الجدل في الأوساط الفنية والسياسية.

بدأت موهبة الفنانة نانسي في التفتح منذ مولدها، حيث نشأت في بيت تملؤه الألحان والكلمات، ما أسهم في تشكيل ذائقتها الفنية وبلورة أسلوبها الخاص في الغناء، وفي تشكيل رؤيتها للفن والحياة.

الحملة التشويهية

غنت نانسي عجاج للوطن ولشهداءه، والطفولة والكهولة، للحب والنضال والحرية، ولم تكن مجرد فنانة عادية تؤدي الأغنيات، بل كانت صاحبة موقف من قضايا شعبها ووطنها، وذات رؤية نقدية وتطويرية وسمت أسلوبها الغنائي المختلف، فتميزت منذ بداية ظهورها في الساحة الفنية في بدايات الألفية الجديدة.

قبل مشاركتها في البرنامج مثار الجدل خلال الأيام الماضية، واجهت الفنانة نانسي عجاج اتهامات بالتخوين من دعاة استمرار الحرب في بلدها السودان، وذلك لمواقفها المناهضة للحروب والداعية للسلام، وتضاعفت حملات التخوين من أعداء الفن والسلام ضدها بعد مشاركتها في حفل غنائي في دولة الإمارات العربية حيث تقيم.

في حوارها مع برنامج «عرب كاست» الذي فجر موجة جديدة من الاتهامات والتساؤلات حول موقفها من الحرب

والفن وحتى الأسرة، حاول المتربصون بـ«نانسي» وصمها بما لم تقله مستغلين المقطع الترويجي

للبرنامج، وفيه مجتزأ قصير عن والدها

الراحل الموسيقار بدر الدين عجاج،

بيد أن الجميع اكتشف أنها في هذا

الحوار - بعد بثه كاملاً - تحدثت

بمسؤولية وعمق في مواضيع

عدة تتعلق بالهوية

السودانية، وتجارب

الحرب، ودور الفن في

التغيير المجتمعي،

وفوق ذلك

حديثها المحب

عن والدها

الراحل

ودوره العظيم في تنشئتها الفنية . أكدت نانسي في هذا الحوار أنها ضد «النظام العبثي غير الشرعي، الذي يدير السودان الآن من بورتسودان، عبر سيطرته على الجيش الرسمي للبلاد بمشاركة المليشيات الأخرى»، حسب تعبيرها. وقالت إن «التركيز على الإمارات يأتي بسبب محاربتها للإخوان المسلمين، واحتضانها للقوى المدنية المناهضة للحرب، لأن من بدأها هو النظام الذي يحكم من بورتسودان».

وعن التخوين والاتهامات بالعمالة قالت الفنانة نانسي: «أرخص إنسان من يبيع وطنه وشعبه ويقف مع من يقوم بقتل وتشريد أهله كل يوم». وفي حديثها عن الهوية السودانية قالت: «يتسم السودان بتنوع ثقافي وديني فريد، وبعد الاطلاع على الهوية السودانية لا يمكن حصرها في فئة واحدة، سواء كانت عربية أو أفريقية». وتابع قائلة إن هذا التنوع والتعدد الثقافي ميزة للهوية السودانية، ويصب في صالح السودانين، إن اعترفوا بتنوعهم واختلافهم لصالح تقدم بلادهم. وأكدت الفنانة نانسي عجاج على اعتزازها بالمواطن السوداني، الذي واجه كل أهوال الحرب من تقتيل وتشريد ولم ينكسر ولا يزال يؤمن بالسلام وفي أحقية بلاده في النمو والازدهار، وهو ما يستحقه لا الدمار والخراب مثلما يحدث الآن . وعن موقفها من الفن والغناء تقول نانسي عجاج إن الفن رسالة، وهي تعتبر نفسها جزءاً من حركة فنية عريضة تعمل على تغيير الصورة النمطية عن وسائل الإعلام، من خلال تقديم فن ملتزم بقضايا شعبه .

الاحتجاج والوعي

مع انطلاق ثورة ديسمبر المجيدة ضد نظام البشير الإسلامي، شاركت نانسي عجاج بفعالية وعبرت عن مواقفها المساندة للثورة، وأسهمت مع آخرين عبر مواقع التواصل الاجتماعي في إفراة مساحة كبيرة لنشر أشعار وأغانى الحراك الثوري، كما قدمت عدداً من أغانياتها التي تعكس معاناة الناس وصمودهم ففي أغنية «ميلاد»، تغنت بـ«الحراك» وما يعنيه من أمل في بناء مستقبل أفضل للسودانيين .

على الرغم من كل التحديات التي تواجهها، تستمر نانسي عجاج في مشروعاتها الفنية، متفائلة بتقديم الأفضل في المستقبل، تؤمن بأن الشعب السوداني لديه القدرة على تجاوز واقع الحرب والتمزق، وأن تكون وحدة الصف والمشاركة في العمل الجماعي

قادرة على تحقيق العدالة والأمن والسلام. مؤكدة على تعزيز الوعي لتحقيق الحقوق والحريات، وتشير إلى أن الأمل لا يزال قائماً في بناء السودان الذي نحلم به.

وفي ختام حوارها مع برنامج «عرب كاست» وجهت نانسي عجاج رسالة لجميع السودانيين تتضمن «أهمية الصمود والتعاون مع الآخرين من أجل وقف الحرب والنهوض بالبلاد من وسط نيران الخراب» .

بروفایل

* ولدت نانسي عجاج في 2 مارس 1979 بأمر درمان، وتحمل الجنسيين السودانية والهولندية.

*بدأت مشوارها الفني في عام 1999، وهاجرت مع أسرته إلى طرابلس ثم إلى هولندا. هي سليله عائلة معروفة، ووالدها الفنان الموسيقار الراحل بدر الدين عجاج .

* قدمت العديد من الألبومات، مثل «سحر النغم» و«رفقة» و«موجة»، وتنوعت أعمالها بين الخاص والمسموع والتراثي والعاطفي .

*أطلقت حملة «يلا نغني للسودان» وشاركت في يوم توصيل الأدوية الطبية للمرضى في السودان. *تؤكد أن الفن يمكن أن يكون أداة قوية للتعبير عن السلام والأمل، ويمكن أن يسهم في إشاعة السلام والطمأنينة في السودان.

*شاركت نانسي عجاج في اعتصام القيادة في الخرطوم، وغنت لاحقاً أغنية «الخلود» لشهداء فض الاعتصام، ولم تتوقف عن زيارة أسر الشهداء.

*تعاونت مع عمالقة الشعراء والملحنين السودانيين، مثل قاسم أبو زيد وهاشم صديق والهادي ود الجبل .

* تؤكد أن الفن لا يجب أن تكون وسيلة ترفيه فقط، لذلك يجب على الفنانين أن يستمروا في عملهم في كل الأوقات، لأن الفن يمكن أن يكون أداة قوية تسهم في التغيير نحو الأفضل .

*تري نانسي عجاج أن الفنانين الذين يدعمون الحرب لا يمثلون الفن، ويجب أن يدعموا بلادهم بطرق سلمية. وأشارت إلى العديد من الأعمال الفنية التي تناولت القضايا الاجتماعية والسياسية في السودان، مثل أغنية «الخلود» لشهداء فض الاعتصام .

*تطرح نانسي عجاج آرائها الفنية بشجاعة، وتقول إن الفنان لا يؤيد الحرب، بل يمكن أن يدعم بلده بطرق مختلفة.



رسائل للأحباب (4): إلى نمارق محيي الدين

عثمان يوسف خليل

ملخص

تعالج المادة فن التراسل المكتوب الذي كاد يندثر في العصر الرقمي، حيث يستعيد الكاتب ذكريات زمن كانت فيه الرسائل (الغرامية، الإخوانية، العائلية) تحمل روائح الورق والأحبار، وتُنسج بكلمات مُنمّقة كاللآلي.

الرسائل تُذكّر المرسله نمارق بوالدها وعلاقتها الوثيقة به، خاصة تلك التي كان يحتفظ بها، مما يجعلها تربط بين الماضي والحاضر عبر سحر الكلمة المكتوبة، وتدعو إلى إحياء هذه العادة كجسر بين الأجيال.

الرسائل ربما كانت أكثر من وسيلة تواصل؛ فهي سجل اجتماعي وتاريخي، وفرصة لصقل اللغة وإظهار المشاعر بإتقان، كما في رسائل غادة السمان ومي زيادة، حيث كانت الكلمة الطيبة «زادًا» يُحتفظ به في دهاليز الأسرار.

التكنولوجيا جعلت المشاعر «نقرة إصبع»، لكن الروح الإنسانية تظل تتوق إلى ذلك العمق الذي صنّعه الرسائل الورقية، حيث كانت الأرواح تلتقي قبل الأقلام، والود يُختتم بختم الزمن لا بآخر الشاشة.

هذه الرسالة هي رقم 4 من سلسلة رسائل للأحباب التي انتوينها من خلالها أن نعيد سنة تبادل الرسائل التي أصبحت أثراً بعد عين بعد أن سادت لأزمان، وكانت قطعاً من التاريخ الاجتماعي لتلك الحقب. «سيدتي، العزيزة نمارق تحية تغشاك وعين الله ترعاك، واعلمي إنه في البدء كانت الكلمة.. والكلمة شرف الإنسان وزاده.. وقد قالها الشاعر النحير إسماعيل حسن، وتغني بها عملاق الصوت والتطريب، عثمان مصطفى:

الكلمة الطيبة منك زادي
وحياتك لباكر والأمل فارد جناحه
في بحور ماليتها آخر

ثم بعد، وأولاً بالتوبادي، نغريك السلام التام، بالقلم العلام، ولك كل الود لا ينقص منه مثقال ذرة، ومنانا الشديد أن يصلك مكتوبنا هذا الذي نحسب أنه مكتوب بماء الذهب، قبل أن يطوى في سجل الدهر كي لا يذبل! حين كتبت تسأليني عن كيف كانت طرق الرسائل في أيامنا، لا سيما الرسائل الغرامية، فالسؤال يا نمارق نتيجة الدهشة والدهشة أس الفلسفة..

والرسالة كما يقول أهلنا نصف المشاهدة، أما عن كيف كنا نكتب الرسائل فأعلمي أنه في أيام الصبا وريعان الشباب، فقد كنا نغوص في بحور الكلمات، ولم تكن بالصعوبة لأن الزمن كان زمن رسائل، ونتوه في البحث علناً نصطاد منها الأصداف واللائي، لنتمقها ونرسلها حروفاً تسبق الريح عطراً ورياحين، وتسبق القلوب قبل العقول وصولاً. ولا يعني هذا أننا كنا فقط أصحاب رسائل غرامية، فقد شملت مراسلاتنا الرسائل العائلية من الداخل والخارج، أما الرسائل الإخوانية فهي أكثر. ولنا فيها نصيب، نرسل ونرسل إلينا ولا تتعدى حدود المودة الأخوية ونية التواصل.. ثم بعد الشكر والعرفان، فقد وصلتنا رسالتك القصيرة عبر أحد الوسائط، فأحييت في نفسي ذكرى تلك «الرزنامة» في ذلك الزمن البعيد، التي كاد النسيان أن يطويها، وكأنك أرسلت إليّ زمناً كان أرقى.. وها هي قد استيقظت الحروف بيننا من سباتها، وعاد ذاك الورق ذو الألوان البنفسجية، الذي كانت الصبايا يحتفظن به في دهاليز أسرارهن، ينبض بالحنين. أيا عزيزتي، أليس في الأمر عجب؟ أن يصبح الودّ نقرة إصبع، وأن تذوب حلو المشاعر في بحور هذا العالم الإلكتروني! نعم يا نمارق، عجيب أمر هذه السنة الدنيوية، كلما ظنناها انقضت، عادت إلينا بثوب جديد، لتذكرنا أن الدولار يدور، لكن الحب — إذا صفاً — يبقى محوراً لا يصدأ. يذكرني هذا بقول خليل فرح:

(القلوب إن حبت مستحيل تتكبر)

عزيزتي نمارق، دعيني أعترف أنك أحييت في روحي

رونق التراسل وأذكيت في النفس نار الوصل، فضجت فيها عويل الذكريات، أقول أهلاً بعهد الرسائل، وبلقاء الأرواح قبل الأقلام، أما هديتك (رحيق الكلمات) فهي التي جعلتني أقول: «ما أجمل أن يُعيد القلم للورق روحه، ويُعيد الإنسان للإنسان وجده!». دمت لكل من تحبين، وما مات ممن تحبين. ابقي طيبة، وابقى رد على من يقرأ حروفك.. ولك في الختام الود الذي تعرفين عثمان يوسف خليل

وعليك من السلام أجله والكثير من الاحترام
أستاذي العزيز عثمان يوسف

كما تعلم أنني من محبي الأدب والتاريخ فهما بالنسبة لي الهوى والهوية، ولكن حين تخصصت في علم السايكولوجي أيقنت أن الإنسان ما هو إلا امتداد لثقافته وجينات أجداده، وأن أغلب الإشكاليات التي تواجه الإنسان هو صراع هذه المفاهيم مع واقعته وقدرته على التفاعل والتواؤم مع ما يحمل من أثقال. أذكر جيداً أول حديث دار بيننا في صفحة أستاذي الفاضل حسن إبراهيم في أحد المواقع الإلكترونية حين لجأت إليك في استشارته لها علاقه بمرض التوحد، وقد امتد النقاش في أسلوب العلاج ومن هناك امتدت صداقة اعترز بها كثيراً بعد مرور كل هذه الأعوام.

حين سألتني عن طرق التواصل في أيامنا، كان وللصدفة الجميلة إنه وقع بين يدي جواب حنين من زمان الناس الطيبين ذكر إنه مما تحتفظ به دار الوثائق.. لا أبالغ إن قلت إنني قد فتنت ببساطة التعبير وروعة الخط وتفاصيل التوقيت المؤرخ.. زد على ذلك وهذا هو المهم عندي، إنني كنت كما ذكرت لك من قبل مرتبطه بوالدي جداً فكانت رسائله التي يحتفظ تخفف عني كثيراً أثر الفراق... أحب كامل حقبته الزمنية التي تجعلني أقرب إليه... وأذكر جيداً صديقه العزيز (عمو سامي طه) وتعبير وجهه وهو يخبرني كيف كانت مراسلاتهم التي يتبارون في حسن أسلوبهم ورقى كلماتهم أثناء المخاطبة، وكيف كان يناكف والدتي بأنها كانت السبب في قطع كل الخطابات والرسائل لأن والدي هام بها واكتفى بها عن نساء الأرض قاطبة.

نعم يا أستاذي تؤنسني تلك الإخوانية وتجديني أفتتن بالمشاعر الإنسانية الصادقة أياً كان زمانها ومكانها.. انتظر منك أن تبدأ لنا بإستذكار الرسائل بنوعها الإخوانية وأن تتطرق لرسائل غادة السمان ومي زياده وتفتح لنا الباب كقراء للنقاش للإثراء.. ولك كامل الشكر والتقدير والاحترام.

نمارق محيي الدين



هنا أو هناك.. لا أهملُ النافذة

شعر: بابكر الوسيلة

(1)

وتُهديني مع الأحضان عُمرَ حبيبتي
وايمُ الله هوناً ما نسيْتُ مُصيبتي..
فالنارُ ناري
والرَّمادُ رمادي.
فرحٌ بميلادي
ومنشِرخُ بصاحبتي وأصحابي
فرحٌ بكل حديقةٍ
شَبَّتْ على الأيامِ رغم حرائقي الكبرى
سَمَتْ.. واستبسلت بدمي
فالماءُ مائي
والترابُ ترابي.
فرحٌ بماء النيل يرقصُ في ضفاف النيل
منتحياً لأرض النيل،
لا يُحدِّثُ في الحُضور ولا الغياب،
ومطالِعُ الأملِ الكبيرة
تقرأ الدنيا
وتفتَحُ في مدى الآلامِ بابي.
فرحٌ بميلادي.
أجدُّ صرختي لحياة شخصي..
وشخصي في الحياة
ضياءُ قرصي
هذا كل ما أَسعى،
وأريدُ من سعتي ودمعي اللأرادي

(2)

السَّمَاوَاتِ عمياء..
واللَّيْلِ في آخر أشواقه تحت كأسِ الوحيد..
هل سَتَمَطُرُ الآن؟
ليس لي من ملاذٍ سوى رعشةِ الشَّعرِ،

فرحٌ بأنِّي قد بلغتُ الآن
بستناً من الذكري لأعيادي..
فرحٌ بميلادي
وقلبُ حبيبتي..
فرحٌ بأشجاري
وهوَيْتي تمشي الهوينى على قلقي وناري
فرحٌ بهاويتي أمام الله..
هوايةُ الأحزانِ في بلدي وداري.
فرحٌ بخيلِ قصيدي الخضرَاءِ تصهّلُ
بالحياة على نواصي النهر
معركةً على أيدي الضفافين
ساقيةً لأسراري..
فرحٌ ببهوي،
بهواءِ نافذتي بقلبي السَّهْل..
وبناتِ زهراتي عصيرِ النحل،
أفكاري..
فرحٌ بأولادي.
عانقتُ كل قصيدة رسمتُ مساري الحرَّ
سمَّنتي المعذبَ والمُتيمَّ
وبكيتُ أه بكيتُ
يا وطني المهذبَ والمُتيمَّ..
فرحٌ بميلادي..
وفي تحديد معنى الحبِّ والذكرى
أطفأتُ في هذا المخيم..
شمعةً أخرى
وايمُ الله ما نسيْتُ بلادي
أن تجيئَ بعطرها الشَّعبيِّ بين رصاصَةٍ
ورصاصَةٍ

وإنَّ غطائي بعيد
هل ستنسحب السُّحبُ الرَّماديَّةُ
بين يديَّ،
إلى الأبد الاستوائي وراء الغيوم؟
أم تنزل فوق منازل نفسي وراء التُّخوم؟

(3)

أنا آخر..
لا رجلٌ لا امرأة..
ليس خُنثى..
ولستُ برُغمِ حشائش ماهيَّتِي شَجَرَة..
أنا لستُ من فرطِ دُونِيَّتِي حَشَرَة..
لا، لم أكن في أولِ العمر زهرة..
ولستُ جدول ماء..
ولستُ سبَدَ قلب على الحبِّ
يصلُحُ للذِّكريات..
ولستُ صاحب حجرٍ في الضُّلوع ولا
شاعراً..

ولا كائن أرض
ولا كيان سماء.

أنا آخر..
لستُ أَفْهَمُهُ
لستُ أَعْرِفُهُ..

آخر.. لا أراه ولا أريه،
آخر.. لستُ أَكْزَهُهُ.. لكنني في كلِّ مُكْرَهَةٍ أَزْدرِيه.

(4)

خرجت مياه النيل من أمواجه الأولى
كأن ضلَّت على الطيني مجراها،
على الإنسان مسراها،
وذكرها على شجر الطفولة.
فبأيِّ آلاء الصُّراخ..
أعيدُ خريزَ أيَّامي بهففة البدائيين من
أمثال أمي

وأعيدُ زهرة وجهها الخضراء
في هذا المناخ..
وبأيِّ أسماء الرياح
أشدُّ راياتي على أيدي الجماعيين من
زُملاء روعي

أمشي على هذي الجراح..
ما ماتت الدنيا عليَّ ولكن شَبَّهَ اللَّحْدُ
ما متُّ بعدُ

وها هي الذِّكرى تنام ولم ينم في قُربها
البُعد.

فبأيِّ أنواع الرجال
يهزني الرِّعد..

وبأيِّ أنواع النساء
يضمُّني الوعد..؟!

كسرت حياة في ليالي الأصدقاء..

كسِرَ الكلام وجف في رثيَّ صوت حديقة
خضراء

لكني مع الأيام لا أنسى الغناء..

لكني مع الآلام والآلام،

لا أتذكَّرُ فيَّ على ساحة الاعتصام
غير النساء.

(5)

من يكتب الشعر عني؟
أنا أم جسدي المتمكَّن في المشاوير؟
ومن يرسم ظني..

سوى ريشة من ظلال المقادير.

تعبتُ من الأصدقاء..

سوى واحدٍ كان يُعاتِبُنِي على ضحكةٍ
عند الأعاصير

ويُتْبِعُنِي في المصير.

كأنَّ الَّذِي كان يعيش في الممات.

الصدى والذِّكريات.

يئسَّ العمرُ مني

لكنني أبداً ما يُنْسَتُ

ولا يئسَتْ
في بلادي الحياة.

بالعُمُر.

(6)

ك
بُرتُ مع الموتِ في بلدي..
كل ما أطلبُ الآن
فوق الرّصاص:
هو أغنيةُ النَّاسِ..
بين السَّلامِ على الأرضِ يا سادتي،
والسَّلامةِ في الكبرياء..
كُبرتُ مع الجُلمِ يا ضفّة الشعراء..
كُبرتُ مع النّبع..
وصرتُ نبياً لآخرِ صرخةٍ في دم الشّهداء
كُبرتُ مع الحب..
كانوا يمتنونني أن أعيش طويلاً
برغم ضعف الحياة..
وكانوا يتمنون لي
أن أتكوّن في رحم الأرض
مثل الينابيع،
جدولاً في وطني،
جدولاً لا يخون الحديقة.

أعرفُ أنّ العالمَ مات..
لكني أحتاجُ لبعض الصّمتِ
لكي أهمسَ في أذن الحزنِ
ببقيّة ما علقَ على الرُّوح من الكلمات.

(7)

مات شخصٌ عزيزٌ عليّ الآن
لا أتذكّره جيّداً
ربّما كان ممّن تناسيته في الحياة بين
الممّر..
لكنه سيظلُّ عزيزاً عليّ
مهما ادلهمت حياتي في شتات العمى

(8)

في الصّباح..
تخرُجُ البُيُوتُ للحياة،
تعملُ الورودُ في محبّة الحديقة.
في المساء..
تدخلُ الحياةُ للبُيُوتِ،
مستحمة برغبة الحقيقة.

(9)

أسكنُ الآنَ في مكانٍ لا أعرفه،
لكنّه من تفاصيلِ وحشتي يعرفني
ويعرفُ رَعشةَ الحزنِ التي تعتريني
وتعرّفُ وطني....
المواويلُ أه المواويل..
شربتُ آخرَ ليلٍ من النّيلِ،
لكأنّي كنتُ أعرفه
وأخطفُ هذه اللّحظة من بقيّة زمّني.

عند نفس المكانِ كنتُ تشجّرتُ
تعرفتُ على الماءِ في جسدي لأوّل مرّة..
تعرفتُ على الشّعْرِ، عُشباً،
وتعارفنا أنا والحزنُ
قيثارتان تموسقتا في الإشارة..
بينما لا ضوءٌ يبدو في خيالِ المجرّة..
لا شاهداً أو بشاراً.

فها أنذا الآن
أسكنُ في المكانِ الخطأ..
في الزّمانِ الصّدا..
ولا شيءٌ يُبلّغُ حُرْني،
ولا من يُبلّغُ عني صدى المبتدأ.



حكاية من بيئتي حلة ملوخية ستهم

محمد أحمد الفيلابي

ملخص

حكاية شعبية تختزل قيماً إنسانية واجتماعية وزراعية عميقة، وتكشف عن ذكاء شعبي قادر على تحويل أبسط التفاصيل اليومية (كوجبة الملوخية) إلى حكمة وخبرة متراكمة.

تمثل شخصية «عمي السر» في الحكاية الجسر بين المعرفة الأكاديمية والزراعة التقليدية، حيث استفاد من عمله في مزرعة الجامعة لنقل الخبرات العلمية بأسلوب قصصي شيق.

تسرد المروية قصة عائلة «النعمان» وارتباطهم الوثيق بالأرض والتراث، من خلال حكاية «حلة الملوخية» التي أصبحت رمزاً للترابط الأسري والبساطة في حياة الريف السوداني.

تبرز القصة التناقض الصارخ بين الزراعة العضوية التقليدية والزراعة الحديثة المليئة بالمبيدات، والتي تسببت في أمراض المزارعين وقصر أعمارهم مقارنة بأبائهم.

كالعادة صاحب تناول الوجبة ذلك الأنس البريء اللطيف الممتد لأكثر من ساعة، فقد كانت طبخة الملوخية (1) شهية، وزاد عليها أن جاءت الشقيقة الصغرى بـ(عقلة) (2) فجل. وكان كلما فرغ الصحن (الطبق) أو كاد، تسعى الشقيقة لجلب المزيد وهكذا. وحين انفض السامر دخلت (ستهم) مطبخها الصغير لتتأكد من إحكام إغلاق الحلة، حتى يحين موعد الوجبة التالية، وإذا بها تطلق الصرخة.

ووب علي ووب علي..

مالك يا بت؟

جاءها الاستفسار من جارتها، لترد:

حَلَّة ملوختي الطاعة.

ما لها.. إندفقت؟

لا.

أكلوها الشُّفَع؟

يا ريتهم كان أكلوها؟

نان مالها؟

كمّلا الفجل.

وأصبحت الحكاية مما يتم تناوله في إطار تعليق الأمر على آخر. فالفجل ساعدهم على تناول كل ما وضع أمامهم، بيد أنه لم يكن هو من قضى على ما في الحَلَّة. وقد شبه أحدهم إلصاق تهمة اندلاع الحرب الأخيرة بالمدينين بعقلة الفجل التي قضت على حلة (ستهم).

المدينين المساكين بقوا فجل حلة ستهم.

هي (ست البنات)، أو (ست الدار)، لا أحد يسأل، فقد طغى لقب الطفولة (ستهم) وباتت لا تنادى إلا به. وقد كان يعني أنها (ست) إخوانها الستة، إنصافاً لها. ذلك قبل أن تختتم العقد (ست أبوها)، وحولوه إلى (ستو). وكانت قد جاءت بعد سنوات طويلة بعمر تتالي الولادات هناك. أسماها أبوها هكذا حتى لا تحس الدونية أمام شقيقتها الكبرى، والتي سبقتها بسنوات كفلت لها الاستئثار بمحبة الجميع، لما تتمتع به من لطف وظرف وملاحة، حتى أن بعض أهل القرية يلقبونها (ست النعامين). وباتت لها صولات وجولات في بيوت مناسبات القرية اعترافاً بتخصصها النادر في طبخ الملوخية.

الأسرة الممتدة، والتي لا يكاد الغرباء التفريق تماماً بين أفرادها، لما يتمتعون به من تقارب في السحنات والأسماء تُنسيها لديهم الألقاب، فقد جبلوا على إطلاق الألقاب، عطفاً على ما يتمتعون به من اللطف والبساطة والمحبة. يطلقون عليهم (النعامين) نسبة لجدهم الكبير (النعمان). بيد أن الكثيرين يعتقدون أن الاسم إنما اشتق من أشهر مفردة في قاموسهم اليومي (أنعمنو) يستخدمونها للتأكيد، ولربط الأحاديث. ولعل أصلها في اللغة

(أن معناه، أو المعني أنه). لكن الغريب أن الواحدة أو الواحدة منهم لا يقال له (نعماني أو نعمانية)، بل (نعاميني ونعامينية). وهم في الأصل من قدامى السكان بالمنطقة، يحترفون الزراعة، ولا يقتنون من الأغنام والماشية والدواب إلا بما يكفي حاجتهم. يفلحون في زراعة الخضروات منذ عهد السواقي والنبرو (3). يعرفون خبايا البذور، ومواقيت الغرس، وطرق السقيا، تناسلوا وتكاثروا فيما بقيت مساحة الأرض الموروثة كما هي، بل قضم منها النيل كعادته في الأخذ والعطاء، لترداد مساحة الجزيرة الموسمية المملوكة لغيرهم. وبعد أن ضاقت الأراضي بالورثة هاجر الرجال والشباب فزرعوا أراضي الغير، حيثما وجدوا أرضاً تصلح للزراعة، وأناساً يتوافقون معهم على إصلاح أراضيهم، يسافرون قريباً وبعيداً، وتبقى الأسر. من بينهم من جذبتهم الأراضي الضيقة على شريط النيل قرب الأسواق في المدينة الكبيرة.

إنه نهج التنمية العرجاء (4)، وإلا لكان لكل واحد من هؤلاء مساحة تكفيه وتكفي الأسواق هنا وهناك خضروات عضوية، وغذاء آمناً بدلاً عن شغل المساحات بالسلع النقدية، ترتفع أسواقها عاماً فتعمر الجيوب والبيوت، وتنخفض عاماً آخر فيعود الواحد إلى ما كان عليه من مكابدة الحياة. وبدلاً عن المساحات الشاسعة التي تحولت إلى صحراء بعد قطع أشجارها وحرمانها من الري. كما هي في تعبير القامة القُدال (يرحمه الله).

مزارع بتيس.. ونيلك ممّد جنازة. (5)

المساحات على النيل قرب المدينة الكبيرة يغدق عليها المزارعون بمن فيهم (النعامين) من المهاجرين الجُد أطناناً من الأسمدة الصناعية والمخصبات والمبيدات، حتى يمكنهم المنافسة في سوق المدينة الغارق في جهل المستهلكين، وتجاهل المسؤولين عن صحة المواطن وما يقدم له من منتجات. غير أنها تحظى بفترة الغمر، حين يفيض النيل وتنغسل التربة، وتعوض إطماء يضمن للزراع بداية الموسم بالإنتاج الخصب، يعودون بعده للرش وزراعة السموم في الأرض والخضروات، وفي أكبادهم فيما يسمى بالتسمم التراكمي (6). يتساقط على أثره المزارعون من أبناء (النعامين) قبل أن يصل الواحد منهم - أحياناً، إلى نصف العمر الذي عاشه أبوه أو جده.

(عمي السر) كان الأذكى من بينهم، وهكذا تقول الروايات، فقد كان أول من حزم حقيبته ويَم صوب العاصمة. ولأنه لا يجيد سوى الزراعة فقد عمل في مزرعة جامعة الخرطوم، حين كان للجامعة مزرعة (6)، وللمزرعة ما تزرعه في الحقول البعيدة وفي العقول

القابلة لاستقبال الغرس، ومن بينها عقل (عمي السر) الخصب. فقد خُبر في سنوات معدودة، وهو يسمع شروحات الدكاترة والخبراء، مثلما يسمع للراديو (7) فيخترن ما يسمعه، ويهضمه ويحفظه. وقد جاء إلى أهله، بأسرار ومعارف ودروس، كان قد أسهم مع الطلاب في تجربتها، وغرسها ضمن حكاياته التي لا تُمل في المخيلات. وعمل بيديه على تجارب نالت رضاهم، ليدخلوها ضمن قاموسهم الزراعي الفريد، ومن ذلك زراعة النادر من الخضروات والبهار. في مرة حاول أحد المتعلمين من أبناء الأسرة أن يداعب (عمي السر) ملاسماً أكثر أوتاره حساسية (حبه للملوخية)، حين قال: هل سمعت بالحاكم بأمر الله (8) الذي حرّم أكل الملوخية.

ضحك ضحكته المعهودة حين يعدّل وضع عمامته الصغيرة إيداناً بفتح ما يسميه بـ(القاطوع) (9)، ويقصد مخزن الذاكرة ليخرج الخبايا من المعلومات والأخبار والحكايات، وقال مخاطباً الآخرين لينزع ما قد يعلق بهم من مخافة تحريم أحب الأطعمة لديهم. ما تنغشوا في كلام الأستاذ، الحاكم بأمر الله الفاطمي ده منع أكل الملوخية أنعمو كان معاوية بن أبي سفيان بحبها زيي كدي. وحاكمك ده يا أستاذ منع الجرجير كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بتحبو، وكثّل كلاب البلد كلها عشان نبيحها قال عامل ليهو إزعاج. ثم صمت قليلاً ريثما يحكّر سفته بذات الطقوس التي لا تنقص ولا تزيد. ولم يجد الأستاذ بداً من تأكيد الرواية والإشادة بمعرفة (عمي السر) وثقافته الكبيرة، وبدا كأنه يدعو للمواصلة. هو فعلاً غريب الأطوار وقاسي، حظر صيد السمك القرموط، ومنع ذبح الأبقار. هو حاكم بأمر الله اسماً، وفعلاً هو حاكم بأمر نفسو زي حكامنا. إنت عارف يا أستاذ نحن بنحب الملوخية ليه؟

أنا عارف سر محبة الفجل لأنو فيهو الألياف البتخفّ الإمساك، وبتخفّض الكوليسترول، وإنو كمان بقلّل من خطر الإصابة بقرحة المعدة ويحمي أنسجة المعدة، وبعزّز الحاجز المخاطي. ولأنو نسبة الموية فيهو كبيرة بسهم في ترطيب الجسم. وكمّان فيهو فيتامين سي وكمية من المعادن (10) الأساسية لي وظائف الجسم.

تمام، ما قصرت يا أستاذ.. أها الملوخية دي قديمة قُدّم البشر، الفراعنة كانوا يسموها (خية) (11)، وكانت في البداية علاج، واتحولت طعام. وبرضك الملوخية فيها الفيتامينات البتقوي الجهاز المناعي. نعم نعم (عمي السر) فيتامين أ، فيتامين ج،

فيتامين هـ. و أ، هـ سوى بيحموا أنظمة الجسم من الأمراض عشان الخصائص المضادة للأكسدة. وكمّان فيتامين ج عندو دور في تحفيز الوظيفة البتقوم بيها خلايا الدم البيضاء، وده طبعاً يساعد على منع تطور العديد من الأمراض.

ووقف (عمي السر) إيداناً بوقف المؤانسة حتى إشعار آخر.

أنا نازل (11) عندي بهاهيم دايرات ياكلن زي ما أكلنا نحن.

ورفع عقيرته..

سنتهم.. تسلم إيدك.. قلتي لي دايرة شنو من التحتانية؟

ليفه عشميق (12). من خلاتك الفي الجرف.

سمح.

ونلتقي في حكاية جديدة من بيئتي

الهوامش:

(1) الملوخية إحدى النباتات الورقية التي تندرج تحت فصيلة الكوركوروس، وهي طبق شعبي عربي يعود تاريخه لآلاف السنين. وهو أحد أشهر الأكلات في الموائد العربية.

(2) عقلة تعني حزمة.

(3) النبرو هو الشادوف أو المنزفة هو آلة لرفع المياه للري، تعتمد على الجهد البدني.

(4) التنمية العرجاء هي التي تتجاهل تنمية البشر، وتهتم بالعائد المادي دون الاجتماعي والبيئي.

(5) من نص (أبيت الكلام المغتغ وفاضي.. وخمج) للشاعر محمد طه القدال.

(6) مزرعة جامعة الخرطوم نشأت عام 1951 على مساحة 600 فدان بهدف تدريب الطلاب، ورفع كفاءتهم عملياً، وتوفير المنتجات الزراعية.

(7) من أكثر المقتنيات التقليدية لدى السودانيين، وخاصة في الأرياف. وقد مثل لهم منصة لا غنى عنها للإخبار والمعرفة والثقافة والترفيه. وما يزال.

(8) الحاكم بأمر الله الفاطمي (985 - 1021) هو

سادس حكام الدولة الفاطمية، أمسك بزمام الأمور (996).

(9) القاطوع: مخزن صغير تقطع مساحته من الديناب أو أي الغرف أو المطبخ، لتخزين المؤن والغلال.

(10) من المعادن التي توجد في الفجل البوتاسيوم والكالسيوم والمغنسيوم والفسفور والحديد والزنك.

(11) وردت التسمية في كتاب كنز الفوائد لتنويع الموائد الذي يعود للقرن الثالث عشر.

(12) العشميق، أو (أشميق) وهو خيوط لحاء النخيل (الألياف) وتصنع منه الحبال.



من كتابي (جهنم المسرح وفراديسه) «وسواس»... مجنون يحاكم العقلاء

السر السيد

ملخص

عرض «وسواس» المسرحي يتناول سيرة مريض نفسي «صالح» ورحلة علاجه الطويلة برفقة شقيقه «صابر»، الكتابة تقدم رؤية نقدية لمعاناة هذه الفئة المهمشة في المجتمع.

اعتبر الكاتب أن الممثل محمد كوبر جسد شخصية «صالح» بمهارة عالية، متنقلاً بسلاسة بين حالات الوعي والذهيان، والغضب والوداعة، ومستنهِضاً روحه لملء فضاء خشبة حيوية.

اعتمد المخرج، كيفما يرى الناقد، استراتيجية تركز على الممثل والتكشف في عناصر العرض الأخرى، لإبراز صرخة المريض النفسي «المجنون» وتأكيد صوته ورسائله الفكرية والسياسية والتنويرية.

العرض وفقاً للكاتب يمثل صرخة مدوية للفت النظر للمرضى النفسانيين، وإدانة لنظرة الأسرة والمجتمع والمؤسسات العلاجية لهم، داعياً للاهتمام بحقوقهم الإنسانية.

العرض من تأليف الممثل والمخرج المعروف الأستاذ الرشيد أحمد عيسى.. أخرج العرض المخرج يحيى فضل الله العوض، وقام بالتمثيل فيه الممثل محمد عوض الشهير بـ«كوبر» ويحيى فضل الله.. قُدم العرض في نسخته الأولى في مقر الجالية السودانية بمدينة تورنتو في كندا بتاريخ 18 سبتمبر 2021، ثم عُرض مرة أخرى في مقر الجالية السودانية بمدينة هاملتون في كندا بتاريخ 16 أكتوبر 2022، وأهدي للفقيد الشاعر والكاتب والمخرج الإذاعي خطاب حسن أحمد.

هذه المقالة معنية بالعرض الثاني في نسخته المصورة «فيديو» التي هي من تصوير مصطفى يحيى فضل الله، ومونتاج عادل عوض.

يضعنا عنوان العرض «وسواس» الذي لم يأت معرفاً بالألف واللام، يضعنا مباشرة في عوالم الطب النفسي لنجد أنفسنا بعد رفع الستار أمام شخصيتين يكشف تطور العرض أنهما أخوين شقيقين هما صابر الأخ الأكبر، وصالح الأخ الأصغر، وأنهما موجودان في مكان تشير العلامات المؤسسة له «جبة/ لوح/ مسبحة/ جركانات مليئة بمياه سوداء اللون «محاية»/ مقاعد خشبية وتربيزة» إلى أنه (غرفة) ملحقة بـ«خلوة» لأحد الشيوخ الذين يرون أن من بعض مهامهم علاج المرضى النفسانيين.. هذا المكان المؤسس على ديكور بسيط وظف ليفي بموضوع العرض الذي هو «سيرة شخصية لمرضى نفساني»، تجتهد أسرته في البحث عن كل ما يساعد في علاجه وما يتخلل هذا البحث من قصص وذكريات عن الناس والأمكنة التي عايشها منذ طفولته وحتى وجوده في هذا المكان.. من بداية العرض وحتى نهايته نرى صابرًا يرتدي بنطلونًا وقميصًا عاديين ويحمل مسبحة، ونرى صالحًا يرتدي عراقي رصاصي اللون وسروالاً طويلاً، ومن خلال الحوار نعرف أن صالحًا هو المريض النفساني وأن صابرًا يعمل موظفًا في واحدة من المؤسسات الحكومية، وإنه المرافق الأساس لشقيقه المريض في كل رحلات علاجه التي استمرت لما يتجاوز الثلاثين عامًا.. العرض الذي هو عبارة عن سيرة

شخصية للمريض النفساني صالح تشترك في بعض جوانبها مع سيرة شقيقه صابر بحكم اشتراكهما في بعض الأحداث، يقع في دائرة الكوميديا السوداء كما أرى، فبرغم مأساوية ما يحكيه وبرغم نهايته

المبكية إلا أنه لم يخل من الكوميديا هنا وهناك، وهو وبرغم ما حملته من قصص وحكايات وذكريات تعد كثيفة وكثيرة بالنظر إليها في سياق الزمن الواقعي للعرض «75» دقيقة تقريبًا» إلا أنه كان سريع الإيقاع، وقد يعود السبب هنا أولاً إلى بناء النص الذي ينهض كما أشرنا على سيرة شخصية تقوم بطبيعتها بأي سيرة على تعدد الأصوات وعلى تنوع الحكايات وعلى اشتباك وتداخل الزمان والمكان.. أما السبب الثاني فيعود إلى ما يمكن أن نطلق عليه «إستراتيجية المخرج» التي نهضت بشكل أساس كما أرى على (الممثل) والتكشف الشديد في عناصر العرض المسرحي الأخرى كالديكور والإضاءة والموسيقى والمؤثرات الصوتية، بل والتحرر حتى من المكان المسرحي التقليدي «الخشبة» ومن استثمار الكثير من الفرص التي يتيحها النص ولا تتناقض مع منطق العرض كتجسيد بعض الأماكن والأحداث المحكية كالذي حكاها صالح عندما كان في المصحبة مثلاً أو بعض الشخصيات التي قابلها صالح وحكى عنها كشخصية «التاج الرطل أو «بدرية الممرضة» أو «عبدالكريم».. هذه الإستراتيجية أو هذا الخيار الذي اشتغل عليه المخرج، يصب تمامًا في الرسالة الباطنية.. الخفية.. العميقة للعرض التي هي إعلان صرخة المريض النفساني «المجنون» كشخص يمثل الآخر بالنسبة للأصحاء «العقلاء» بكل ما تعنيه كلمة الآخر هنا من دلالات كفقدانه

للأهلية القانونية وخضوعه لسلطة ووصاية من يرون أنهم العقلاء.. هذه الصرخة التي تنفجر بالمكبوت والمقموع التي تعلو من شأن صوت الأنا وقوة الحكي بما يحمله من رسائل فكرية وسياسية وتنويرية خاصة وأن المريض النفساني «المجنون» في هذا العرض وعلى غير ما جرت به العادة في الكثير من الأعمال إلا بداعة خاصة





المسرح يعبر أصالة عن نفسه وعن الفئة التي ينتمي إليها «فئة المرضى النفسانيين»، ولم يُستدع هنا بتلك الصيغة التي تجعله شاهداً ينطق بما لا يستطيع «العقلاء» قوله في السياسة والأخلاق والتقاليد المجتمعية السالبة، أما السبب الثالث فيعود إلى التمثيل، وقبل الكشف عن الطريقة التي قدم بها الممثلان محمد كوبر ويحيى فضل الله شخصيتيهما، أجد من الضروري أن أطرح افتراضاً يتصل بالنص/العرض من ناحية بنائية مفاده أن النص/العرض بالأساس يقوم على شخصية «صالح»، مما يعني إمكانية تصنيفه ضمن ما يعرف «بالمونودراما» كنوع من أنواع المسرح، أما شخصية «صابر» وبالنظر لموقعها في العرض فتبدو

وكأنها تقنية أو حيلة درامية لا أكثر تساعد على توالد الحكى وتنظيمه وصولاً إلى نهاياته أو قريباً منها. هذا الافتراض قد يجد بعض ما يدعمه في أن العبء الأكبر في التمثيل وقع على عاتق الممثل محمد كوبر كما شاهدنا، فهو أولاً وجد نفسه أمام شخصية مركبة تراوح بين العقل واللا عقل.. بين الصحو والهذيان.. بين الغضب والرجاء.. بين العنف والوداعة، هذا من جانب ومن جانب آخر شخصية ثرية بالحكي الموزع بين الأمكنة والناس، فصالح يعيد بناء الأمكنة ويعيد بناء حكايات الناس فهو يحكي عن مدرسته في مراحل الدراسة الأولى «مدرسة الأقباط في عطبرة»

صالح: يا صابر.. يا صابر.. يا صابر.. صحي وشي بشبه الفار؟ عاوز أغيرو.. الطلبة في مدرسة الأقباط كانوا بضحكوا علي.. واحد قال لي وشك صغير زي وش الفار.. عشان كذا كل ما أعاين في المراهية بشوف نفسي فار.

ويحكي عن «البيت»

صالح: تتذكر يا صابر مريتنا الفي بيتنا في كوستي.. أمي سمتها مراهية عثمان حسين.. عشان لما جا عرس ناس قرشاب - عرس ولدهم محمد - جا عشان يغني ليهم.. هو ما خال العريس.. ما كان عندهم مراهيا يخلق بيها.. جو شالو مريتنا.. المراهية دي قعدت معنا خمس سنين.. أنا ما كنت مولود.. كسروها أولادك.. هم ما يعرفو قيمة الحاجات دي.. أمي قالت ديل همج.

ويتذكر المدن التي عاش فيها أو سافر إليها «عطبرة، دنقلا، كوستي، الخرطوم».. يحكي عن

حي «السكة حديد» وعن سوق «القيقر» في عطبرة.. يحكي عن «الديم» و «أبو حمامة».. يحكي عن حي «الجميعاب» في أمبدة.. يحكي عن المصححات وعن غرف الشيوخ التي مر بها طلباً للعلاج. صالح: مصحة لا.. عليك الله عليك الله (متودداً).. العساكر بدقوني بالخرطوش وبدخلوني الزنزانة.. بقللوني بالطبلة.

صالح: شيخ عثمان عاين لى بعيون فيها شر.. هو ضعيف ومعلوق.. شايل سوط عنج بضرب بيهو المجانين الفي الحوش.. داير يضربني.. جرّيت منو السوط.. قلت ليه ما تضربني ونهرتو.. طوالي قبل على «مكلية» وقال ليها دا جن دكاترة.

وفي الشخوص يحكي عن «مكلية»- أشهر مجانين ومجنونات مدينة عطبرة - وعن «التاج الرطل» وعن «علوية» موظفة الكبانية وعن «أم وليد» وعن «عبدالله أبو نازك»، وعن أسناده القبطي «جورج»، وعن زملائه في مدرسة الأقباط، وعن الرئيسين «جعفر نميري» و«عمر البشير»، وعن زميله في المصححة «عبدالكريم علي عبدالكريم» الذي وجدوه ميئاً، وعن والده، وعن صابر شقيقه، وعن أمه وعن أخته.

كل هذه الحكايات المتداخلة والمتسقة حيناً والمتنافرة أحياناً أخرى عن الأمكنة والناس التي يأتي بعضها في لحظة وعي وصحو الشخصية، ويأتي بعضها الآخر في لحظة هذيان الشخصية لا تعبر عن مزاج واحد، فبعضها يأتي مُجسّداً لحالة من حالات الغضب والعنف، وبعضها يأتي في حالة من حالات الهدوء والوداعة.. كل هذه الحكايات التي مثلت موضوع العرض واستبطنت حكايته جسدها

الممثل محمد كوبر بمهارة عالية، تمثلت بلاغتها في التلقائية ونفي المبالغة التي عنت أولاً فهمه لطبيعة العلاقة بينه وبين الشخصية التي يُجسّدُها الممثل يحيى «شخصية صابر»، وحدود هذه العلاقة إذ أن أقوال وأفعال هذه الشخصية مرتبهة تمامًا لأقوال وأفعال شخصية «صالح»، وعنت ثانيًا عدم وقوعه في «الكليشيات» المتداولة في تنميط شخصية المريض النفسي (المجنون)، وعنت ثالثًا انتقاله السلس ودونما إغراق في التفاصيل من الشخصيات التي يؤديها إلى أي شخصية أخرى من الشخصيات الكثيرة «نسائية ورجالية» التي حفل بها العرض كشخصية بدرية والتاج الرطل وغيرهما، وعنت رابعًا قدرته في استنهاض روحه وهو فعل لا يتأتى للممثل إلا إذا توافر على درجة عالية من الصدق الفني الذي بدوره لا يُحاز إلا بمعرفة الممثل للشخصية التي يمثلها ولحدودها، فباستنهاض هذه الروح يشتعل الجسد فتدب الحياة في فضاء الخشبة بكل ما تحويه أو ما لا تحويه من أضواء وأصوات وأثاث وشخوص، ولعل هذا ما جسده الممثل محمد كوبر أو كاد وهو يملأ فضاء الخشبة حيوية وجمالاً.. هنا تجب الإشارة إلى أن من بعض ما ساعد الممثل كوبر في اشتعاله واشعاله فضاء الخشبة، إضافة إلى بنائية النص وإستراتيجية المخرج، الطريقة التي أدى بها الممثل يحيى شخصية صابر، فقد جسّد يحيى هذه الشخصية باقتصاديات محكمة في (التمثيل) تمثلت في التقشف في الحركة مما أتاح للممثل كوبر فرصة أن يُشغل الحيز الأكبر في فضاء الخشبة، وتمثلت كذلك في غلبة الهدوء والبطء على أدائه نوعاً مما مكن الممثل كوبر من استخدام صوته للحد الأقصى وتلوينه حتى ولو بالغناء في بعض الأحيان، وبالطبع كل هذا لم يكن بعيداً عن موقع شخصية صابر في النص/العرض الذي أشرت له في ثانياً هذه المقالة.

صابر: (يبكي بألم وحرقة)

معلّش معلّش يا صالح معلّش.. أنا السبب.. نحن السبب.. أنت ما مفروض تصل المرحلة دى.. ما مفروض.. ما مفروض.

صابر: (بغضب)

أنت يا زول ما عايز تنكتم.. أنا بكتك للأبد.. خلاص أنا زهجت منك ومن حياتي ومن القرف العايش فيه.. كلو ما عندو معنى.

كيف كانت نهاية العرض؟

في المشهد الأخير تزداد وتيرة الحركة والتدافع بين الشخصيتين وتتداخل أقوالهما وهما يرددان نفس الجمل بما يشبه الصوت والصدى أو الأصل

والظل في إشارة إلى أنهما عاشا نفس الحكاية، وأن ما حكاه صالح كان يمكن أن يحكيه صابر لذلك كان صابراً هو من أنهى هذه الحكاية.. حكاية أخيه.. حكايته هو وذلك بقتل أخيه خنقاً، وها هو صالح يعيد ترديد تلك الجملة وهو يحتضر:

صالح: الطيور ماتت.. الأربعة ماتت.

ونفس هذه الجملة يرددها صابر بعد أن قتل أخيه.

صابر: الطيور ماتت.. الأربعة ماتت.. الليلة الليلة يا سمرا.. يا سمرا الليلة يا سمرا

هذه الجملة تحديداً التي بدأ بها العرض وانتهى بها مثلت الإشارة الأولى لوجود شخصية صالح في منطقة «اللاعقل».. في منطقة «الاضطراب النفسي»، وهي نفسها في نهاية العرض مثلت الإشارة الأولى لانتقال شخصية صابر على منطقة «اللاعقل».. منطقة «الاضطراب النفسي».

ويبقى السؤال في هذا العرض المُعقد والمأساوي بامتياز من الذي قال حكاية العرض؟ صالح المريض النفسي المقتول؟؟ أم صابر شقيق صالح ومرافقه في كل رحلات علاجه والقاتل؟؟ وما هي دلالة قتل صالح؟ هل يمكن أن يكون من بعض دلائل إسكات صوت الضمير اللوأم الذي كان يقظاً عند صابر؟ ربما.

وتأتي خاتمتي لهذه المقالة، أن هذا العرض يمثل صرخة مدوية في لفت النظر لهذه الفئة المهمشة من الناس «المرضى النفسيين»، ويمثل صرخة احتجاج كبيرة إن لم نقل إدانة موجهة للأسرة السودانية ونظرتها وطريقة تعاملها مع المريض النفسي، وللمصحات النفسية وللاختصاصيين النفسيين، ولبعض الشيوخ، والمنظمات المجتمع المدني خاصة العاملة في مجال حقوق الإنسان.

لا يفوتني أن أقدم بالشكر للصديقة الاختصاصية النفسية ندى حليم، فقد أفدت منها كثيراً في كتابة هذه المقالة.

*/ المخرج يحيى فضل الله العوض:

خريج المعهد العالي للموسيقى والمسرح «كلية الموسيقى والدراما-جامعة السودان حالياً»..

تخصص تمثيل وإخراج 1984

شاعر وقاص ومؤلف مسرحي.

مقيم بمدينة هاملتون في كندا.

أخرج للمسرح مسرحيات: «الأستاذ» ليوجين يونسكو/التحدي لخطاب حسن أحمد/ «الرجل

الذي صمت» لمحمد محي الدين/ سهرة مسرحية لمصطفى أحمد الخليفة وغيرها.

حرب المسيرات

تهدد إقامة دوري النخبة السوداني

تتزايد المخاوف في الأوساط الرياضية السودانية من تأثير التصعيد الأمني الأخير في مدينة بورتسودان وعدد من مدن شرق البلاد، على مصير بطولة دوري النخبة السوداني، المقرر انطلاقها في الفترة من 27 مايو وحتى 27 يونيو 2025، وسط تصاعد الهجمات بالطائرات المسيّرة الانتحارية، والتي تشنها قوات الدعم السريع في عدة مواقع حيوية.

ملخص



وكان أبرز هذه الهجمات قد استهدف مستودع الوقود الرئيسي في مدينة بورتسودان، ما أدى إلى اندلاع حرائق ضخمة استمرت لأكثر من أسبوع، وغطت سماء المدينة بسحب كثيفة من الدخان الأسود، قبل أن تتم السيطرة عليها صباح الأحد. ولم تقتصر الهجمات على بورتسودان، بل طالت أيضًا مدن عطبرة وكسلا، التي باتت تتعرض لقصف يومي منذ الأحد الماضي، مما تسبب في تعطيل مرافق حيوية مثل الكهرباء والوقود، وأثار حالة من الذعر وسط السكان.

وسط هذا التوتر، تتعالى أصوات من داخل الوسط الرياضي تطالب بتأمين الملاعب وضمان سلامة اللاعبين والجماهير، في ظل استمرار خطر الطائرات المسيّرة. والتخوف من إقامة المباريات في مناطق مهددة، خاصة في هذه المرحلة الحاسمة من البطولة.

الاتحاد يعتمد كسلا والقضارف

وفي خطوة رسمية، أعلن نائب رئيس الاتحاد السوداني لكرة القدم، أسامة عطا المنان، عن اعتماد ولايتي كسلا والقضارف كمضيفتين لمنافسات دوري النخبة، مؤكدًا أن القرار جاء بعد ترتيبات أمنية ولوجستية وصفها بـ«المثالية»، وتجاوب من حكومتي الولايتين. ووفقًا للقرار، ستقام مباريات النخبة بنظام الدوري من دورة واحدة، على أن يتأهل أصحاب المراكز الأربعة الأولى للمشاركة في دوري أبطال أفريقيا وكأس الكونفدرالية للموسم القادم.

وأكد عطا المنان أن اختيار كسلا والقضارف يأتي في إطار توزيع الفرص وتعزيز المشاركة الولائية في النشاط الرياضي، مشيرًا إلى أن اللجنة المنظمة مطالبة بالشروع الفوري في تنفيذ التحضيرات وتجهيز الملاعب.

تحركات خارجية بديلة

وعلى الرغم من التصريحات الرسمية، فإن مصادر صحفية مطلعة كشفت عن خلافات داخل مجلس

إدارة الاتحاد السوداني لكرة القدم، حيث أبدى عدد من الأعضاء رفضهم القاطع لإقامة البطولة في شرق البلاد، في ظل استمرار الهجمات بالطائرات المسيّرة وعدم وضوح المشهد الأمني.

وبحسب تلك المصادر، فإن رئيس الاتحاد معتصم جعفر أجرى بالفعل اتصالات مع نظرائه في اتحادي تنزانيا وموريتانيا، لبحث إمكانية استضافة منافسات النخبة خارج السودان، كخيار بديل يضمن استمرار الموسم دون مخاطر أمنية على المشاركين.

مقاطعة محتملة من الأجانب

وفي تطور مقلق آخر، أفادت تقارير بأن عددًا من اللاعبين الأجانب في صفوف ناديي الهلال والمريخ، قد أبلغوا إداراتهم برفضهم التام للمشاركة في مباريات دوري النخبة، في ظل الظروف الأمنية الحالية. وأعرب هؤلاء اللاعبون عن خشيتهم من التعرض للخطر في ظل استمرار الحرب، ما يضع الأندية في موقف صعب، خاصة وأن لاعبيها الأجانب يمثلون أعمدة رئيسية في تشكيلاتها الأساسية.

مستقبل البطولة على المحك

في ظل هذه المعطيات المعقدة، يبقى مصير دوري النخبة السوداني معلقًا بين خيارين أحلاهما مر: إقامة في ولايات مضطربة أمنياً مع ما يحمله ذلك من مخاطر، أو ترحيله إلى دول مجاورة، ما يعني إقرارًا غير مباشر بصعوبة استمرار النشاط الرياضي داخل البلاد في ظل الحرب الدائرة.

وفي كل الأحوال، فإن الاتحاد السوداني لكرة القدم يقف أمام اختبار مصيري، يختبر قدرته على التوفيق بين استمرار المنافسات وحماية

أرواح اللاعبين والجماهير، في وقت باتت فيه كرة القدم واحدة من آخر أدوات الأمل في السودان.

